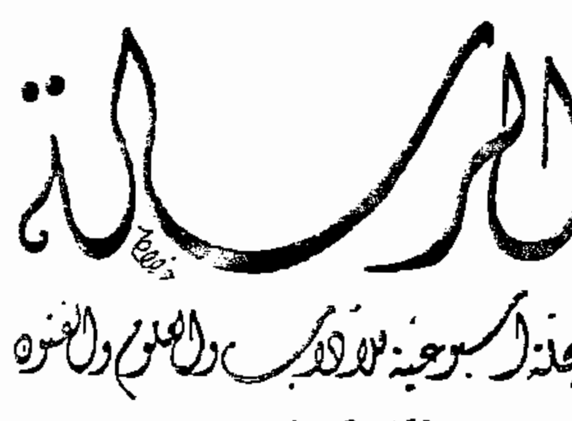


6 me Année, No. 274

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٧٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٣٥٧ — ٣ أكتوبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

ختـــام

للأستاذ عباس محمود العقاد

بدأنا بقنطار ثمين فأجملنا ما نراه من مذهب في صفات الجمال، وكانت خلاصته أن الجسم الجميل هو الجسم الذى ليس به فضول، وهو الذى يحمل كل عضو فيه نفسه غير محمول في مشهد العين على سواه ، وهو الذى يكون مقياس الفضول فيه أداء الوظيفة ، ومقياس الوظيفة بين عضو وعضو وبين حيوان وحيوان قربها من الحرية وبعدها من القيد والضرورة

وهذا مقياس أعضاء وأجسام

ومقياس معان أيضاً وأفكار وأرواح

فاننا بهذا القياس نعرف الكلمة الجميلة والشعر الجميل والخلق الجميل والفكر الجميل

فلن يكون جميلا فكر به فضول فهو زائد فضفاض في غير طائل ، أو فكر فيه قصور فهو مفتقر إلى غيره وليس بمحمول على نفسه ، أو فكر يظهر فيه عجز التقييد وعسف الضرورات

وذلك ما أردناه حين قلنا إن الجمال يخرج الأجسام من عالم الشهوات والنزوات إلى عالم المعانى والأرواح ، وإن العين التى تنفذ إلى لبابه تنظر إليه كما تنظر إلى الحقائق العليا ، وإلى الأصول الشائعة في نظام الوجود كافة ؛ فاذا اتفق أن يبعث الباعث بالجمال

فكما يتفق أن يسرق السارق جوهرة نفيسة : لا يسرقها لأنها جميلة وهو يحب الجمال ، ولكنه يسرقها لأنه يستحضر في ذهنه السوق ، والسوم !

* * *

ثم رجعنا إلى بقية المذهب ، ثم تلاحقت اللاحقات من تفريع إلى حاشية إلى تذييل ، إلى هذا الختام ، وكان به ختام الصيف وختام السفرات في كل أسبوع إلى الاسكندرية

أكتبه إلى جوار الصحراء صديقتي القديمة منذ عرفت الأصدقاء في الأماكن والبقاع

وأصغي فلا أسمع الأمواج كأنها فوران القدر العظيمة عند ميناء الاسكندرية ، ولا أسمع الأمواج كأنها غطيط النائم في اطراد وتيب عند ميناء مرسى مطروح ، ولا أسمع الأمواج كأنها المارد الوديع الحالم عند ميناء السلوم ، فلا هدير له ولا ضجيج ، بل سكون كسكون النيل في ساعة صفاء قرير

لا أسمع الأمواج ولكني أسمع الصحراء ، ومن طالت عشرته للصحراء سمعها وهي تسكت ، وسمعها وهي تصخب ، وسمعها وهي لا تحفل بأسماع ، ولخص ذلك كله في كلمة واحدة ، وهي القناعة أو الاستخفاف أو القوة التي تغالب الأزمان ؟ لأن الأزمان تقوى على التغيير ... فاذا لم يكن تغيير فماذا يبلغ من قوة زمان واحد أو من قوة جميع الأزمان ، وإذا كان التغيير لا يغير منها الحقيقة ولا يمس منها إلا العرض فلماذا تباليه الصحراء ؟

ورجعت أعرض صور الاسكندرية فاذا هي كثيرة تتصل بها أجزاء الدنيا وترينا كيف يتشعب العالم وكيف يؤول إلى التماثل والتوحيد

فالعالم اليوم يحكمه زي واحد تبصره في شواطئ القارة الحديثة ، وتبصره في شواطئ الصين ، كما تبصره في شواطئ بحر الروم وفي شواطئ بحر الظلمات ، الذي ليس فيه اليوم ظلمات

أو هذا كل ما هنالك من تماثل وتوحيد بين أجزاء العالم المتنابذ المستعد في هذه الساعة لأشنع الحروب

كلا . بل هنالك التقارب بين المثل والأوضاع في كثير من الأمور

هنالك العملة التي كانت من قبل أخص الخصائص فيما يسمونه بالسيادة القومية فأصبحت اليوم موضع التفاهم والاتفاق بين شتى الحكومات

وهنالك المحظورات والنواهي يجمعها بين الدول من الرق إلى المخدرات إلى المهربات

وهنالك الجيوش والمؤتمرات التي تنعقد من حين إلى حين لتقرير عددها وتقرير سلاحها وتقرير نظامها ، وإن لم تسفر عن وفاق وإجماع

بل هنالك الحرب التي لا يتأتى أن تنفجر في مكان إلا عمت جوانب الأرض بعد بضعة أسابيع

فالعالم يمضي إلى التماثل والوحدة ، ولا يمنع هذه الحقيقة أنه ماض كذلك إلى الوحدة في الشرور والنكبات ، بل إن هذا ليؤكدها ويجلوها في جانبها المخيف كما يجلوها في جانبها المأمون ، وجانبها المحبوب

أزياء الشاطئ تكشف لنا هذه الحقيقة وتكشف لنا معها حقيقة أخرى يأسى لها كثيرون ويغتبط بها كثيرون

أو لم يكن الراقصون والمفتون وأصحاب الملاهي والملاعب نفاية الجماعة الانسانية في الأجيال القريبة ؟

فانظر اليوم من ذا الذي يفرض على الناس الأزياء والآداب؟ ومن ذا الذي يملي عليهم ما يشتهون وما ينبذون ؟ !

إنهم هم نفاية المجتمع بالأمس وسادة المجتمع اليوم !

إنهم هم فتيان هوليود وفتيات الستار الأبيض فيها وفي كل مكان

فأين هي اليوم تلك السيدة التي تخجل من ظهورها في مظهر الممثلات على ذلك الستار ؟

وما معنى ذلك إلا أن المجتمع ينقلب رأساً على عقب ثم لا يستقر على هذا الانقلاب ؟

وهل بعيد ما بين هذه الحقيقة وبين حقيقة أخرى في عالم السياسة الدولية نشهدها ونسمعها الآن فنا نشهد ونسمع من نذير وشرور مستطير ؟

ما معنى الحرب اليوم إلا أن نفايات المجتمع قد أصبحوا يسوسون الدول ويقودون الشعوب ولا يؤمنون إلا بما يؤمن به النفايات من غلظة وجور و... وتحطيم ؟

لئن كان الحجر على هذه النفايات فيما مضى ظلماً لقد رأينا الساعة أن سيادتها ليست بإنصاف ، بل فيها الظلم والانصاف مزيج كريه المذاق ، ومصفاة الزمن خير كفيل بالتصفية والترويق ، ولا خوف على الزمن آخر الأمر من العجلة ولا من الأناة ..

* * *

صور كثيرة بقيت فى خلدى من الاسكندرية كأنها صفحات مقسمة من معارض الفن والحياة والتاريخ

وستبقى ما قدر لها البقاء ، وسيكون من أبقاها وأولاها بالبقاء صورة واحدة لمخلوق ضعيف أليف يعرف الوفاء ويحق له الوفاء ، وذلك هو صديق « بيجو » الذى فقدناه هناك . وإنى لأدعوه صديقى ولا أذكره باسم فصيلته التى ألصق بها الناس ما ألصقوا من مسبة وهوان ، فان الناس قد أثبتوا فى تاريخهم أنهم أجهل الخلائق بصناعة التبجيل وأجهلها كذلك بصناعة التحقير ... فكم من مبجَّل بينهم ولاحق له فى أكثر من العصا ! وكم من محقَّر بينهم ولا ظلم فى الدنيا كظلمه بالازدراء والاحتقار !

وكنت أقدر أننى سأخلو من العمل فى مجلس النواب ثلاثة أشهر الصيف الشديد ، فأخلو بنفسى وبالبحر والصحراء فى مرسى مطروح أو فى السلوم ، وأفرغ هناك لتأليف كتابى الذى جمعت له ما جمعت من الأخبار والوقائع عن الصحراء وأبنائها الأقدمين والمحدثين

فلما تواصلت الجلسات أزمعت أن أقضى أياماً فى القاهرة وأياماً فى الاسكندرية من كل أسبوع ، ولم أصحب بيجو فى الرحلة الأولى ولا فى الرحلة الثانية ولا عزمت على اصطحابه بقية أشهر الصيف ، اكتفاء بأن أراه أيام مقامى فى القاهرة وأن أعود إليه كل أسبوع

ولكن المخلوق الأمين الوفى أرغمنى على مصاحبته كلما ذهبت إلى الاسكندرية وكلما رجعت منها ، لأنه صام عن الطعام صومة واحدة فى الرحلة الثانية ، وزاده إصراراً على الصيام أننا كنا نتركه فى كفالة الشيخ احمد حمزة طاهينا القديم الذى يعرفه قراء كتابى « فى عالم السدود والقيود »

والشيخ أحمد حمزة كما علم أولئك القراء رجل يكثر الصلاة والوضوء ويعتقد نجاسة الكلاب فلا يقربها إلا على مسافة أشبار

وبيجو مخلوق حساس مفرط الاحساس ما هو إلا أن تبين النفور من الشيخ أحمد حتى قابله بنفور مثله أو أشد وأقسى . فكنا إذا تعمدنا تخويفه وزجره نادينا : « يا شيخ أحمد » ... فاذا بيجو تحت أقرب كرسى أو سرير ، ثم لا يخرج من مكمنه إلا إذا أيقن أن الشيخ أحمد حمزة بعيد ، جد بعيد

فلما استحال التوفيق بينهما واستحال إقناعه بالعدول عن الصيام فى غيابنا أصبح بيجو من ركاب السكة الحديد المعروفين فى الذهاب والاياب ، وأصبح زاملنا من القاهرة إلى الاسكندرية ومن الاسكندرية إلى القاهرة كل أسبوع ، وشاعت له نوادر فى مماكسته للموظفين ومماكسة الموظفين له ، يتألف منها تاريخ وجيز ...

ثم أصابه فى الاسكندرية ذلك المرض الأليم الذى كان فاشياً فيها واستعصى علاجه على أطباء الحيوان ، فلزمته فى مرضه مخافة عليه من مشقة السفر ، وعلمت أن الأمل فى شفائه ضعيف ، ولكنى لم أجد مكاناً أولى بإيوائه من المكان الذى أراه ويرانى فيه

وإنى لفى ظهيرة يوم بين اليقظة والتهويم إذا بهمهمة على باب حجرتى وخدش يكاد لا يبين ، ففتحت الباب فرأيت المخلوق المسكين قابعاً فى ركنه يرفع إلىّ رأسه بجهد ثقيل ، وينظر إلىّ نظرة تجمع فيها كل ما تجمعه نظرة عين حيوانية أو إنسانية من معانى الاستعطاف والاستنجاد والاستغفار : أحس المسكين وطأة الموت فتحامل على نفسه ، وخطا من حجرته إلى باب حجرتى ، وجلس هناك يخدش الباب حتى سمعته وفتحت له ، وهو لا يزيد على النظر والسكوت

كان اليوم يوم أحد ، ولكننا بحثنا عن الطبيب فى كل مظنة حتى وجدناه ، وقد شاءت له مروءته الانسانية أن يفارق صحبه وآله فى ساعة الرياضة ليعمل ما يستطيع من ترفيه وتخفيف عن مريضه الذى تعلق به وعطف عليه ، لفرط ما آنسه أثناء علاجه من ذكائه وألاعيبه ومداعباته ، ولكنه وصل إلى المنزل وبيجو يفارق هذه الدنيا التى لم يصاحبها أكثر من سنتين

سيبقى من صور الاسكندرية ما يبقى ، وسيزول منها ما يزول ،

ملاحظـــات انتقادية

على مقترحات لجنة التيسير

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

مدير دار الآثار العراقية

— ١ —

إن الملاحظات الانتقادية التى نشرتها فى العددين الأخيرين من الرسالة الغراء حول كتب « قواعد اللغة العربية » تغنى عن شرح طويل لتحديد موقفى وتبيين رأيى فى المقترحات الواردة فى تقرير لجنة التيسير

فبعد تسجيل واجب الشكر لوزارة المعارف فى مصر، لاقدامهـا على تأليف لجنة خاصة لدرس وسائل تيسير قواعد الصرف والنحو، ولفتحها باب الدرس والمناقشة فى هذه الوسائل، أرى من واجب الصراحة أن أقول: إنى قرأت التقرير الذى وضعته هـذه اللجنة بشىء كثير من خيبة الأمل . . . لأنى لاحظت أن المقترحات الواردة فيه ضيقة النطاق جداً، وليس من شأنها أبداً أن تؤدى إلى « تيسير » مهم ...

فاللجنة المحترمة لم تتطرق فى تقريرها إلى شىء من المسائل التى عرضتها فى مقالى الانتقادى، ولم تنتبه إلى النقائص المهمة والأغلاط العظيمة المندمجة فى خطط التبويب والتعريف، ولم تقدم على إنعام النظر فى طرق التقسيم والتصنيف ...

فأستطيع أن أقول إذاً، إنها لم تتخلص من النزعة العامة التى أشرت إليها وإلى أضرارها، ولم تخرج على المسالك الملتوية التى شرحتها وانتقدتها ...

فجميع الملاحظات الانتقادية المسرودة فى مقالى عن « كتب قواعد اللغة العربية » تنطبق على أبواب « الصرف والنحو » التى اقترحتها اللجنة المحترمة أيضاً ... وفى الواقع أن اللجنة قد صرحت فى تقريرها أنها قدمت اقتراحاتها كخطوة أولى فى سبيل التيسير إذ قالت ما يلى: « وقد اتصلت اجتماعات اللجنة للنهوض بهذه المهمة التى وكلت إليها حتى انتهت إلى طائفة من الاقتراحات ترفعها الآن إلى الوزارة، لا على أنها المثل الأعلى لما ينبغى الوصول إليه من تيسير النحو والبلاغة، بل على أنها خطوة معتدلة موفقة فى سبيل التيسير قد تتاح بعدها خطوات أدنى إلى التوفيق وأقرب إلى الكمال ... »

فقد يقال — نظراً إلى هـذا التصريح — إن النقوص والأخطاء التى كانت موضوع مقالى السابق، ربما كانت من جملة المسائل التى لاحظتها ودرستها اللجنة وتركتها إلى الخطوات التالية لاعتقادها صعوبة معالجتها فى الخطوة الأولى من خطوات التيسير ...

غير أنى أعتقد أن الخطوة الأولى يجب أن ترمى إلى معالجة « أهم المسائل من حيث مقتضيات العلم والتعليم، وأسهل الاصلاحات من حيث العمل والتنفيذ » كما أعتقد أن النقوص والأخطاء التى أشرت إليها أكثر خطورة وأسهل معالجة من الأمور التى اقترحتها اللجنة . فأقول بهذا الاعتبار أن معالجة هـذه النقوص وهذه الأخطاء يجب أن تكون أول خطوة من خطوات التيسير والاصلاح

ولهذه الأسباب أتقدم إلى أعضـاء اللجنة المحترمين برجاء خاص أن ينعموا النظر فى المآخذ التى عرضتهـا فى مقالى السابقين بنظرة متجردة عن تأثير الألفة المخدرة؛ ولا أشك فى أنهم عندما يفعلون ذلك يسلمون بأن قواعد اللغة فى حاجة إلى معالجة وتيسير وإصلاح من النقائص التى ذكرتها آنفاً قبل سائر النواحى ...

ولكنى لا أحسبنى أنسى ما حييت نظرة ذلك المخلوق المتخاذل يقول بها كل ما تقوله عين خلقها الله، ويودعها كل ما ينطق به فم بليغ من استنجاد واستغفار، كأنه يعلم أنه أقلقنى ولا يحسب ما كان فيه عذراً كافياً لاقلاق صديقه . ومن شهد هذا المنظر مرة فى حياته علم أنه لا ينسى، فان لم يعلم ذلك فهو أقل الناس حظاً من الخلائق الانسانية، لأن البعد من العطف على الحيوان لا يجعل المرء بعيداً من الحيوان، بل يقربه منه غاية التقريب

عباس محمود العقاد

— ٢ —

بعد هذه الملاحظات العامة التى أنتقد بها اللجنة لعدم تطرقها إلى بعض الأبحاث المهمة يجب على أن أنتقل إلى المسائل التى عالجتها اللجنة المذكورة فأبدى رأيى فيها ...

إننى أؤيد معظم آراء اللجنة ومقترحاتها ، غير أنى أرى نقصاً فى بعضها وخطأ فى البعض الآخر

أولا — حللت اللجنة أهم أسباب الصعوبة التى اكتنفت قواعد اللغة العربية فقالت :

« وقد لاحظنا أن أهم ما يعسّر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أشياء :

أولا — فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعللوا ويسرفوا فى الافتراض والتعليل

« الثانى — إسراف فى القواعد نشأ عنه إسراف فى الاصطلاحات .

« والثالث — إمعان فى التعمق العلمى باعد بين النحو وبين الأدب ...

« وقد حاولنا أن نخلص النحو من هذه العيوب الثلاثة ، فبرأناه من الفلسفة ما وسعنا ذلك . ومحونا منه الافتراض والتعليل اللذين لا حاجة إليهما ، وقاربنا بين أصوله وقواعده . فضممنا بعضها إلى بعض ، كلما وجدنا إلى ذلك سبيلا »

إننى أشارك اللجنة فى هذه الملاحظات ، غير أننى أرى من الضرورى أن يضاف إلى هذه العوامل الثلاثة عامل آخر ، ربما كان أفعل من جميعها فى توعير المسالك وتوليد الاخطاء : هذا العامل هو النزوع إلى اعتبار مسائل الاعراب الغاية القصوى من دراسة اللغة ، والاهتمام بالأحكام النحوية وبمواطن الاعراب أكثر من الالتفات إلى المعانى المقصودة ومواطن الاستعمال ، كما شرحت ذلك وعللته فى مقالى الأخير . إننى أعتقد أن التخلص من هذه النزعة ومن نتائجها ، من أهم الأسس التى يجب أن تبنى عليها محاولات التيسير والاصلاح ..

ثانياً — تقترح اللجنة ترك فكرة الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، وحذف تعبيرات الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ والخبر ، واستبدال هذه التعبيرات المختلفة بكلمتى الموضوع والمحمول « حسب اصطلاح المناطقة »

وأنا لا أرى فى ذلك وجهاً للتيسير ، بل أعتقد أن هذه الخطة تزيد الأمر صعوبة ، كما أنها تخالف طبيعة اللغة العربية مخالفة واضحة ...

وذلك لأن تفهم المبتدأ والخبر ، وتمييز الفعل والفاعل ، أسهل بكثير من تفهم المحمول والموضوع وتصورهما . كما أن تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية أكثر انطباقاً على خصائص اللغة العربية :

إذ من المعلوم أن بعض اللغات محروم مما يشبه الجملة الاسمية ، لأن كل جملة فيها تحتوى على فعل ، ولو كان من النوع الذى يدل على الكينونة والصيرورة ؛ غير أن اللغة العربية لا تدخل فى عداد تلك اللغات ، لأنها تساعد على تكوين جمل بدون أفعال ؛ فتمييز الجمل الاسمية من الفعلية ، ودرس كل منها على حدة ، يكون أقرب إلى طبيعة اللغة العربية ، وأوفق لمقتضيات أصول التدريس ..

ولا أرانى فى حاجة إلى القول بأن درس كل نوع من هذين النوعين من الجمل على حدة ، لا يعنى عدم إجراء مقارنة بينهما . . . لأن التمييز بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية لا يمنعنا من لفت النظر إلى المشابهة الموجودة بين الفاعل والمبتدأ ، من حيث المعنى ومن حيث الاعراب . . . ولا أشك فى أن الاقدام على مثل هذه المقارنات مما يضمن لنا الحصول على الفوائد المتوخاة من التقريب ، دون أن يعرضنا للمشاكل التى تتولد من المزج والادماج ..

ثالثاً — تقترح اللجنة توحيد الاصطلاحات المتعلقة إلى بحركات البناء والاعراب ، كما تقترح حذف الاعراب التقديرى والمحلى ..

إننى أحبذ ذلك كل التحبيذ ؛ غير أننى أطالب بأكثر من ذلك فأقترح حذف الابحاث المتعلقة بحركات البناء حذفاً تاماً . لأننى لا أرى فائدة عملية أو علمية فى البحث عن هذه الحركات . ان حركة الحرف الأخير من الكلمة تكتسب خطورة كبيرة فى المعربات ، نظراً لتحولها حسب موقع الكلمة من العبارة

وعلاقتها بالكلمات التي تسبقها وتليها ؛ وأما حركة الحرف الأخير في الكلمات المبنية ، فلا تمتاز عن حركات سائر الحروف امتيازاً يستوجب إنعام النظر فيها بوجه خاص . . فإذا عرف الطالب مثلاً — أن « اجلس » فعل أمر ، وكلمة « علم » فعل ماض ، وكلمة « منذ » حرف ، وعرف في الوقت نفسه أن الحروف وأفعال الأمر والماضي من المبنيات . . . فلا يجني أية فائدة عملية ، من ملاحظة حركة الحرف الأخير في هذه الكلمات ؛ وربما استفاد من الانتباه إلى حركة الحرف الثاني أكثر من ذلك ، لكثرة وقوع الخطأ فيها . .

فيكفي الطالب أن يعرف الكلمة ، ويلاحظ عملها في العبارة دون أن يتوغل في تعيين حركة بنائها . .

فعند ما نسعى إلى تمرين الطلاب على تحليل العبارات ، يجب أن نطلب إليهم أن يبينوا نوع كل كلمة من كلماتها . . ويذكروا الوظيفة التي تقوم بها في العبارة كل واحدة منها . وأما إعرابها في المعنى المصطلح والبحث في حركة حرفها الأخير ، فيجب أن ينحصر في المعربات منها .

وأعتقد أن هذه الخطة تخلص المعلمين والمتعلمين من إتعاب الذهن وإضاعة الوقت في أمور غير مجدية ، وتضع حداً للملل الذي يغشي درس اللغة العربية في أكثر الأحيان .

« بغداد » أبو خلدون

كتاب المبشرين
الطاعن في عربية القرآن
أمسلم مصري أم مبشر بروتستنتي ؟

— ٢ —

إن المبشرين البروتستنت الذين أملوا ذلك الكاتب المسلم فضل وروى باطلهم — ليستيقنون أن القرآن هو الكتاب العربي العبقري ، ويعلمون أن تلكم (الآلات) إنما هي قواعده قد أخذت منه ، وكانت له . فمن يخطيء فيها . . وكيف يخطيء فيها . . ؟!

إن القرآن لهو الكلام العربي الصافي الصرف المحقق الصحيح الذي لاريب فيه . وكل قول غيره يلاقيه الشك شاكي السلاح . فهو حجة الأقوال العربية وظهيرها . وليست الأقوال العربية — وإن كانت من خدمه — بحجة له ولا ظهيراً

ولقد قال العربانيون المنصفون والعبقريون والمفكرون من الغربيين في عربية القرآن الصريحة الخالصة وعبقريته قولهم ، وقرأ المبشرون (المضللون) ما كتب المنصف ، وقال العبقري . وإن كتموا الحق ، وجحدوا بالذي استيقنته أنفسهم — أينكرون قولاً في كتابهم الذي نشرته للإضلال — مبيناً ؟

قال (سال) في (مقالة في الإسلام) : Essay an islam

« مما لاخلاف فيه أنه (يعني القرآن) الحجة التي يرجع إليها في العربية ، وأنه شمس [1] قلادة الكتب العربية ، وواسطة عقدها »

إن هذا في (مطبوع) المبشرين الذين يخطئون (الكتاب) في العربية . وإنه لذم وتقريع للسفسطيين القبحين لكن صخري الوجه لايستحي

وإذا لام (المضللين) لائم ، وقبح عليهم ما يصنعون قال لسان الحال : إنا ما شرّفنا محترفين بحرفة (التضليل) — وما التضليل إلا حرفة من الحرف — وآخذين جمالاتنا [2] إلا لنعمل

(١) الشمس : معلاق القلادة في العنق

(٢) الجمالة — مثلثة — الجعل ، الأجر . وفي (الفائق) : ذكر عند ابن عمر الجمائل فقال : لا أغزو على أجر ، ولا أبيع أجري من الجهاد

مايبغيه المجلون المطمون ، فهى الجمالة ، وهو الرغيف . فلا تلومونا ولوموا المعدة ..

أجل ، إن المضللين ما طرءوا على هذه الأقاليم ليحقوا حقا ، ويدحروا باطلا، ويهدوا ضالاً ، ويرشدوا حائرا ، بل جاءوا مغوين متوهين حتى يخرجوا المسلمين من دينهم فيستعبدهم الغربيون المغيرون استعباد الهون[1] . وقد قال (غلادستون) : لاراحة للعالم (يعنى ترمه) ماكان القرآن . وقال سواس فرنسيون : لن يكون لنا الملك الحق فى بلاد المغاربة أو نغرب دين القوم

فالمضللون ، مقصدهم أن يصدوا أمة محمد عن كتابها ، ويلفتوها عن شريعتها ابتغاء أن تذل للغربى وتستقيد . فليس الشأن إذن فى نحلة ببعض أو شيعة تزول، لكنه أمر أسم [illegible] وتهون بل تفنى وتبيد . فليدر بهذا السفهاء والبله والأغبياء من المسلمين إما كانوا يجهلون

والمضللون مدفوعون إلى اقتراف مايقترفون : تدفعهم حرفتهم وجعالتهم والرغيف المأكول ، فهم مرغمون أن يسلكوا كل سبيل فى التضليل ، ويتذرعوا بكل ذريعة غير متذممين من منكر ، ولا متصحبين من شىء ، وغير حافلين بكل خيبة تجبههم ، وبكل خذلان يصقعهم ، وبكل لعنة تتبعهم . وطرق الشر عند هذه الإضمامة (الجماعة) كثيرة ، وذرائع الفساد مستوفرة . فهناك التنويم المغناطيسى .. وهناك التنويم النسوى ...وحكايات هذين التنويمين من وسائل التضليل معروفة فى القاهرة مشهرة ومن كفر منوماً وسنان عاد إلى الإيمان مريعا يقظان . وهناك الجنون المجنون فى الإقدام على تغليط القرآن فى العربية ...

* * *

ليس فى القرآن آية أو كلمة قد عدلت عن سنن العرب ،وان (علم العربية) أو النحو أو القواعد العربية — كما يسميها مسمون — هو حجتها ، وهو دليلها ، وهو المهيمن عليها ، وشواهدها كلماته ، وهذا كتاب سيبويه وهذه أبوابه وبيناته ذلكم القرآن . بيد أن المضللين يقولون : نحن نهذى ونخرفش[2] ، وعلى إبليس تتميم العمل . وقد جمعوا فى (مكتوبهم) بضع عشرة آية (منها الست التى نقلناها — وزعموا أنها مالت عن نهج العربية ، وتلكم الآيات الكريمات كلهن قواعدهن مبينة مفصلة فى (علم العربية) تفصيلا . وهذه أقوال نحوية فى الست المنقولة

* * *

١ — . . . والصابرين . . . قرىء (والصابرون) وقرىء (والموفين والصابرين) والنصب على التعظيم والمدح كما قال (الكتاب) وفصلت (خزانة البغدادى) والقراءة الناصبة تنصر قول الخرنق (أخت طرفة) :

لا يبعدن قومى الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

وتؤيد ما أنشد الفراء :

إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة فى المزدحم

قال (جامع البيان) : « إن من شأن العرب إذا تطاولت صفة الواحد الاعتراض فى المدح والذم بالنصب أحيانا وبالرفع أحيانا »

وقال أبو على الفارسى (أستاذ الأئمة وشيخ ابن جنى) : « إذا ذكرت الصفات الكثيرة فى معرض المدح والذم فالأحسن أن تخالف باعرابها ، ولا تجعل كلها جارية على موصوفها ، لأن هذا الموضع من مواضع الإطناب فى الوصف والابلاغ فى القول، فاذا خولف باعراب الأوصاف كان المقصود أكمل ، لأن الكلام عند اختلاف الاعراب يكون وجها واحداً ، وجملة واحدة »

٢ — ... فاصدق وأكن . . . قرئ (وأكون) بالنصب على اللفظ ، (وأكون) على وأنا أكون ، وقرىء (وأكن) على محل فاصدق . قال المبرد : « وأكون على ماقبله لأن قوله فاصدق جواب للاستفهام الذى فيه التمنى ، والجزم على موضع الفاء » قال الرضى : « وكذا ماجاء بعد جواب الشرط المصدر بالفاء نحو قوله تعالى : (من يضلل الله فلا هادى له (ويذرهم) قرىء رفعاً وجزما ، ولا منع فى العربية من النصب ، فلما كان فاء السببية بعد الطلب واقعاً موقع المجزوم جاز جزم المعطوف عليه ؛ قال تعالى : فاصدق وأكن »

قال ابن يعيش : « فاذا عطفت عليه فعلا آخر جاز فيه وجهان النصب بالعطف على مابعد الفاء ، والجزم على موضع الفاء ، ونظير ذلك فى الاسم : (إن زيداً قائم وعمرو ، وعمراً) إن نصبت فبالعطف على مابعد أن ، وإن رفعت فبالعطف على موضع إن

---

(١) الهون : الهوان الشديد ، قال (الكشاف) فى (عذاب الهون) : [illegible] العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه

(٢) الخرفشة مثل الخربشة والخرمشة

قبل دخولها وهو الابتداء » والقراءة الجازمة تنصر صاحب الصمصامة فى قوله :

دعنى فأذهب جانباً يوما وأكفك جانبا

٣ — . . . كن فيكون . . . من كان التامة أى احدثْ فيحدث » والرفع على الاستئناف أى فهو يكون » كما قال العكبرى . قال الرضى : « وأما النصب فى قراءة أبى عمرو فلتشبيهه بجواب الأمر من حيث مجيئه بعد الأمر ، وليس بجواب من حيث المعنى » « وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ، ولا قول ثم » كما قال (الكشاف) وهو « حكاية حال ماضية » كما فى هذا الكتاب

وقد كان (يكون) ولم يكن (كان) إذ لو قال : (كان) ماقلنا : إنه (قرآن) ؛ إنه (الكتاب) يتكلم لا مخبر مسكين فى (الاهرام) و (المقطم) ومثل هذا فى (المعانى) مشروح فى المطولات والمقصرات أو المختصرات ؛ قال الخطيب فى (الايضاح) « قال : (فأضربُها) ليصور لقومه الحالة التى تشجع فيها على ضرب الغول ، كأنه يبصرهم إياها ، ويتطلب منهم مشاهدتها تعجيباً من جرأته على كل شدة ، ومنه قوله تعالى : (انّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون) وكذا قوله تعالى : ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح فى مكان سحيق»

وعلم (المعاني) نحو من (علم العربية) بل هو علم معانى النحو ، وقد (استقل) يوم قطعوا (العربية) وان يفارق نشء العرب وظلامهم ذاك الهم ، وذاك النم ، وذاك الضيم الأوقت (الضم) وحين جم الاخوة

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

٤ — « وقطعناهم اثنتي عشرة[1] أسباطا ، أمماً » قرىء وقطعناهم بالتخفيف . وعشرة بكسر الشين . قال (جامع البيان) : « [illegible] قطعا اثنتى عشرة ثم [illegible] القطع بالاسباط » قال العكبرى : « اثنتى عشرة : مفعول ثان أو حال أى فرقناهم فرقا (اسباطا) بدل من اثنتي عشرة (أمما) نعت لاسباط أو بدل بعد البدل » قال الزمخشرى : « لو قيل اثنى عشر سبطا لم يكن تحقيقا لأن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة ، وكل قبيلة أسباط لاسبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ، ونظيره : بين رماح مالك ونهشل[1] قال ابن يعيش : « فان قلت عشرون رجالا كنت قد أخبرت أن عندك عشرين ، كل واحد منهم جماعة رجال كما قالوا : جمالان وإبلان »

(١) قال الفراء : إنما قال ذلك لأنه ذكر بعده أمما فذهب التانيث إلى الأمم . قال ابن جرير هو مثل قوله

وإن كلابا هذه عشر أبطن وأنت برىء من قبائلها العشر

قال قطرب : يقال : هذا سبط ، وهذه سبط

وسنين فى الآية الكريمة : « ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » بدل مثل (الاسباط) كما قال ابن الحاجب والرضى والزمخشرى وابن يعيش وغيرهم. قال الزمخشرى : « وقرىء ثلاث مئة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله : قل : هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا »[2] قال الرضى : « الأصل فى الجميع الجمع[3] فاذا استعمل المميز جمعا استعمل على الأصل »

٥ — ... والصابؤن والنصارى ... قرى (والصابؤن) بالنصب والرفع وأورد العكبرى سبعة أوجه في رفعها . قال (الكتاب) : « وأما قوله عز وجل (والصابؤن) فعلى التقديم والتأخير كأنه ابتدأ على قوله والصابؤن بعد ما مضى الخبر » قال الفراء : « إن كلمة (إن) ضعيفة فى العمل ههنا » قال خطيب الرى: « إذا كان اسم إن بحيث لا يظهر فيه أثر الاعراب — مثل الذى وهذا والذين وهؤلاء — فالذى يعطف عليه يجوز نصبه على إعمال هذا الحرف والرفع على إسقاط عمله » وقال (فتح القدير) : « إن خبر إن مقدر والجملة الآتية خبر (الصابؤن والنصارى) كما فى قوله :

(١) ثني رماحا وهو جمع على تأويل رماح هذه القبيلة ورماح هذه القبيلة وقبله : تبقلت فى أول التبقل (شرح شواهد الكشاف)

(٢) جمع المميز للايذان بأن خسرانهم كان من جهات شتى لا من جهة واحدة (ابن يعيش)

(٣) قال (المفصل) « ومما شذ عن ذلك قولهم ثلاث مئة إلى تسع مئة اجترؤا بلفظ الواحد عن الجميع وقد رجع إلى القياس من قال :

ثلاث مئين للملوك وفى بها ردائي وجلت عن وجوه الأهاتم

قال ابن يعيش : « يريد أنه شذ عن القياس وأما من جهة الاستعمال فكثير مطرد » قال سيبويه : « وأما ثلاث مئة إلى تسع مئة فكان ينبغى أن يكون مئين أو مئات ، وليس بمستنكر فى كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع ، ومثل ذلك فى الكلام قوله سبحانه وتعالى . فان طبن لكم عن شىء منه نفسا ، وقررنا به عينا ، وإن شئت قلت أعينا وأنفسا كما قلت ثلاث مئة وثلاث مئين ومئات »

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلف [١]

والقراءة على ما ذهب إليه الخليل وسيبويه تنصر بشر بن أبى خازم القائل :

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا فى شقاق [٢]

وتؤيد قول ضابئ البرجمى فى رواية :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإنى وقيارٌ بها لغريب [٣]

٦ — ... والمقيمين الصلاة ... قرئ والمقيمون والمقيمين والنصب على التعظيم كما قال (الكتاب) فى (باب ما ينتصب فى التعظيم والمدح) وذكر العكبرى ستة أوجه للنصب . وروى (الكتاب) فى ذاك الباب قول ذى الرمة :

لقد حملت قيس بن عيلان حربها على مستقل للنوائب والحرب
أخاها إذا كانت غضابا سما لها على كل حال من ذلول ومن صعب

ثم قال : « إن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت فجعلته ثناء وتعظيما ، ونصبه على الفعل كأنه قال: اذكر أهل ذاك ، واذكر المقيمين ، ولكنه فعل لا يستعمل اظهاره . وليس كل موضع يجوز فيه التعظيم ولا كل صفة يحسن أن يعظم بها ، فاستحسن ما استحسنت العرب ، وأجره كما أجرته »

قال البصريون : « إذا قلت مررت بزيد الكريم فلك أن تجر الكريم لكونه صفة لزيد ، ولك أن تنصبه على تقدير أعنى ، وإن شئت رفعت على تقدير هو الكريم ، وعلى هذا يقال : جاءنى قومك المطعمين فى المحل ، والمغيثون فى الشدائد » والعربية تنصب على الشتم والذم كما تنصب على التعظيم والمدح . قال أمية بن أبى عائذ :

ويأوى إلى نسوة عطل وشعثاً مراضيع مثل السعالى [٤]

وقال ابن خياط المكى :

وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم إلا نميراً أطاعت أمر غاويها
الظاعنين ولما يظعنوا أحداً والقائلون لمن دار نخليها ؟! [٥]

* * *

وكتاب (المضلين) هذا معروف ، وطبعاته كثيرة ، وقد عزى إلى (هاشم العربى) وهو من قبيلة (هيّان بن بيّان أو ضلّ بن ضلّ) المشهورة . . . وفى (قرار النيابة العامة) الذى أعلنه الأستاذ (محمد نور) رئيس نيابة مصر فى شأن أستاذ مسلم — اشارات إلى كتاب المبشرين أرى نقلها فى هذا المقام . قال الأستاذ الرئيس (محمد نور) :

« ... على أنه سواء كان هذا الفرض من تخيله كما يقول أو من نقله عن ذلك المبشر الذى يستتر تحت اسم هاشم العربى فانه كلام لايستند إلى دليل ولا قيمة له . على أننا نلاحظ أن ذلك المبشر مع ماهو ظاهر من مقاله من غرض الطعن على الاسلام كان . . . كما نلاحظ أيضاً أن ذلك المبشر قد يكون له عذره فى سلوك هذا السبيل لأن وظيفة التبشير لدينه غرضه الذى يتكلم فيه ، ولكن ما عذر ... يقول الأستاذ ... وهاشم العربى يقول فى مثل هذا .. فسبحان من أوجد هذا التوافق بين الخواطر !)

ولما ظهر مؤلف المبشرين أشاع مشيعون تكبيراً لحقير ، وترويجاً لزائف ، وتهويلا بضئيل شخت — أن هاشما العربى هو صاحب (مجلة الضياء) ثم نجمت طبعة للكتاب بعد موت اليازجى وفيها : « هاشم العربى الشيخ اليازجى »

« الاسكندريه » * * *

تنبيه على تطبيع

فى القسم — ١ — من هذا البحث : « وانجرأ واستجر » وهى : وانجرّ أو استجر. وفى القسم — ٢ —: «لأن أصله فعل» بالتشديد وهى: فعل بفتح العين (اى ذو) و «وإنما هو بلاغة الكتاب» وهى: وإنما هى . و «لابى البركان الانبارى» وهى . البركات . و «وهذا ضوؤها» وهى: ضوءها .

قال أحد الفضلاء : « مات علماؤنا (رحمهم الله) ولم يفرغوا من تحرير رسم الهمزة . » وفى (الرسالة) السنة (٦) الصفحة (٨٣٧) قاعدتها الموجزة

(١) قيس بن الخطيم ، وهو من أبيات الكتاب ، استشهد به مقويا لما جاز من حذف المفعول
(٢) قال سيبويه : « كأنه قال : بغاة ما بقينا وأنتم » أى كذلك
(٣) فإنى لغريب وقيار بها كذلك (٤) (٥) من أبيات (الكتاب)

مؤتمر المستشرقين العشرون

المنعقد فى مدينة بروكسل

من ٥ إلى ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨

للدكتور مراد كامل

حفلت عاصمة البلجيك بنخبة من علماء المشرقيات فى الثلث الأول من شهر سبتمبر . وقد زاد عددهم على عدد الذين اشتركوا فى مؤتمر المستشرقين السابق المنعقد فى روما سنة ١٩٣٥

هذا وقد قسمت أعمال المؤتمر ومحاضراته تسعة أقسام :

علوم مصرية قديمة وأفريقية — علوم أشورية — آسيا الوسطى — الهنـد — الشرق الأقصى — اللغات والشعوب السامية — العهد القديم والعلوم اليهودية — الإسـلام — الشرق المسيحى

وإذ بلغت المحاضرات التى ألقيت الثلاثمائة أو زادت (بلغات مختلفة منها العربية والفرنسية والانجليزية والألمانية والايطالية) سأقصر بيانى على أجلها شأناً تارة بالتفصيل وتارة بالاشارة :

القسم الأول : تقرير عن حفائر مدينة إدفو التى قامت بها جامعة فارسوفيا والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية . تكلم فيها المحاضر وهو سانت فارجرنو على آثار الدولة القديمة المكتشفة فى الحفريات من الأسرة السادسة ثم على آثار الدولة الوسطى

— ألقى الأستاذ سامى جبره محاضرة بواسطة الفانوس السحرى عن حفائر الجامعة المصرية فى تونه الجبل (هرموبوليس الغربية) أظهر فيها أهم الآثار المكتشفة وقيمتها التاريخية

— محاضرة عن فكرة النقود والمعاملة بها فى مصر القديمة لدوميل من فينا

— محاضرة عن الضمير فى اللغات الكوشية فى الحبشة لفرارير الايطالى

— ألقى الأستاذ مورينو رئيس القسم الشرقى فى وزارة المستعمرات الايطالية محاضرة ذكر فيها النتائج التى وصل إليها العلماء الايطاليون حديثاً فى بحثهم عن لغات السداما الشرقية فى الحبشة وعن مركزها بين اللغات الأخرى

القسم الثانى : تكلم الأستاذ كرستيان من فينا عن أول ظهور الشعوب السامية فى ما بين النهرين وقال إن التاريخ يحقق وجودهم حوالى سـنة ٢٥٠٠ ق . م إلا أن هناك دلائل لغوية تثبت لنا وجودهم قبل هذا التاريخ

— أراد هروزنى أن يثبت بمقارنة لغوية أثر الشومريين والأكاديين فى الحضارة المصرية لأربعة آلاف سنة ق . م

القسم الثالث : تكلم الأستاذ عينى التركى على اللغة التركية فى بغداد فى القرن الحادى عشر الميلادى فذكر قاموس محمود ابن الحسين بن أحمد الكشكرى الذى وضعه بأمر الأمير عبد القاسم عبد الله بن الخليفة العباسى المقتدى سـنة ٤٦٦ هـ ثم أشار إلى مخطوط من هذا العصر يحتوى على شعر باللغة التركية والفارسية لعبد القادر الكيلانى

— وقد تكلم الهمدانى (لندن) على مخطوط وجـده فى القسطنطينية فيه قصيدة صوفية فريدة لأوحد الدين الكرمانى المتوفى سنة ٦٣٥ هـ والمسماة « مصباح الأرواح » فنقد القصيدة وترجم للشاعر

القسم الرابع : ألقى شترجى من جامعة كلكتا محاضرة عن مخطوط بالحروف العربية — الفارسية، استخلص منه طريقة نطق اللغة السنسكريتية فى شمال الهند فى العصور الوسطى

القسم السادس : ألقى الأستاذ بروكلمن المستشرق المعروف محاضرة عنوانها « معضلات الصياغة الشعرية فى الأدب العربى الحديث » وقد قصر محاضرته على الشعر المصرى الحديث فقال : « إن الشعر العربى بقى موثقاً بالقيود القديمة إلى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد ، غير أن استعمال الموشح أدخل نغمة جديدة فى النظم التقليدى الجارى على وتيرة واحدة ، ثم حطمه الشاعر خليل مطران من قيود القديم متأثراً بألفرد دى موسيه الشاعر الفرنسى الابتداعى فأنشأ مدرسة من أفرادها أبو شادى المتأثر بالأدب الانجليزى، ثم هب الجيل الحديث فذهب فى تجديد الصياغة مذهباً يمتاز بالجرأة والاستقلال » وذكر المحاضر شعر الدكتور بشر فارس مثلا لنظم الجيل الحديث

- أفضت السـيدة الانجليزية تومسن بواسطة الفانوس السحرى بنتيجة الكشف عن معبد بوادى عمد فى حضرموت

ثم تلاها الأستاذ روكمن مجملا شرح النصوص السبأية التي وجدت بهذا المعبد والتي أنافت على الستين

— تحدثت الآنسة هوفنر من جامعة جراتز من أعمال التمساعن نتائج بحثها في المصدر والفعل الماضي في لغات اليمن القديمة القتبانية والسبأية والمعينية

القسم السابع : وجعل الأستاذ بركلند من جامعة أوسلو موضوع محاضرته « كيف نستدل باللغة العبرية على الحالة الاجتماعية لسكان فلسطين في العصور القديمة »

القسم الثامن : وأما القسم الاسلامي فقد كان شاملا جامعاً كثرت محاضراته وتوافر المستمعون لها . وقد مثل مصر في هذا القسم الدكتور طه حسين بك والأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام والأستاذ فييت . وكان عدد غير قليل من المصريين يستمعون إلى المحاضرات ومعظمهم من الطلبة الذين يدرسون في جامعات أوربا ، وسأبسط أهم المحاضرات التي ألقيت في هذا القسم بحسب ترتيب إلقائها :

— محاضرة للأستاذ ماسينيون عنوانها « بحث في قيمة الظواهر الفكرية التي نتجت عن سورة أهل الكهف عند المسلمين » ومما ذكر المحاضر أن المتصوفة سلخوا من هذه السورة ميداناً للتأمل « والشطح » فقالوا : « إن الحلاج سر هذه السورة لأنه مات سنة ٣٠٩ هـ وفي السورة أن الفتية عاشوا في الكهف ٣٠٩ سنة » وأما الشيعة فقالت : « إنما الكهف هو الزوال الظاهر للحكم » ناظرة بذلك إلى الامام المختفي . وأما أهل السنة فكانوا أكثر تحفظاً ؛ ومما قاله الغزالي : « إن أهل الكهف هم الأقطاب السبعة أو الأوتاد السبعة الذين يحفظون العالم من السقوط لأنهم يتناولون العدل » ثم تكلم المحاضر على تأويل المفسرين لهذه السورة ومذاهبهم فيها وقال إنهم وقفوا عند ألفاظ فيها عدوها « مفاتيح » للولوج إلى كنه أسرارها ، ومن هذه الألفاظ : فتية ، كهف . فالمحاضرة تدور حول تبيين اعتماد المسلمين على سورة أهل الكهف لشرح أمور إسلامية وقعت بعد نزول القرآن الكريم أو لتعزيزها

— وألقى الدكتور طه حسين بك تقريراً علمياً قسمه قسمين : الأول في المجهودات التي بذلت في مصر لتيسير قواعد الاعراب وقد أثار هذا الموضوع اهتمام المستشرقين . وأما القسم الثاني فخاص بكتاب الفصول والغايات لأبي العلاء المعري ، وفي رأي المحاضر أن كتاب الفصول والغايات هو الخطوة الأولى للزوميات ثم قال : إن أبا العلاء حاول أن يحاكي نسبة أسلوب القرآن من الوجهة اللغوية والشكلية

— وتكلم الأستاذ لفجرين من جامعة أبسالا عن شروعه في طبع الجزءين الأول والثاني من كتاب الاكليل للهمداني

— وألقى بيرس من الجزائر محاضرة عنوانها « بدء القصص الأخلاقية والاجتماعية في الشرق العربي في ختام القرن التاسع عشر وغرة القرن العشرين » وقال : إن السياسة تحكمت في الفكر الأدبي ولا سيما في مصر من سنة ١٨٨٢ حتى آخر القرن التاسع عشر إلى أن ترجم أحمد فتحي زغلول سنة ١٨٩٩ « سر تقدم الانجليز السكسونيين » . فتنبه المصريون من رقادهم ورجعوا إلى أنفسهم فألفوا في الاجتماعيات وأهم هذه التآليف كتاب الويلحي (حديث عيسى بن هشام) وهو الذي أنشأ هذا اللون من الأدب في مصر

— تكلم الأستاذ جويدي من جامعة روما على نشر مخطوطات الكندي الصحيحة المعروفة بفضل نسخة أيا صوفيا رقم ٤٨٣٢

— حاضر الدكتور عبد الوهاب عزام في « السلطان الغوري ومركزه في الأدب والعلم »[1] . فبعد أن ذكر شغف الغوري بالعلم والأدب ومعرفته بعلوم الدين والتاريخ ذكر أن له شعراً بالعربية والتركية ومقطوعات لحنها للغناء . ثم تكلم المحاضر عن ثلاثة كتب ألفت بأمر السلطان الغوري : الكتاب الأول « نفائس المجالس السلطانية » لحسين بن محمد الحسيني ، شرح فيه المؤلف بعض مسائل دارت بين السلطان والعلماء ، وجعل الكتاب في عشرة فصول وسم كل فصل «بالروضة» ثم شرح المحاضر موضوع الكتاب وبين نواحيه الخاصة وقيمته التاريخية . والكتاب الثاني عنوانه « الكوكب الدري في مسائل الغوري » ونيف ألفا سؤال دارت حولها مناقشات في مجلس الغوري وكل ألف من هذه المسائل يقع في جزء . ثم بين المحاضر هذا الكتاب كمرآة لآراء علماء وأمراء مصر في ذلك العصر . وأما الكتاب الثالث عن الغوري وشاهنامة الفردوسي ، فذكر المحاضر كيف أمر السلطان

(١) نشرنا ملخصا وافياً لهذه المحاضرة في العدد الماضي

النوري الشاعر التركي حسين بن حسن بن محمد الحسيني الآمدي بنقل الشاهنامة من الفارسية إلى التركية . وأضاف أن للترجمة مقدمة وخاتمة . تظم ألف بيت تقريباً

— بحث بلاشير كتاب شرح العكبري على ديوان المتنبي وخرج من بحثه بأن العكبري لم يؤلف هذا الشرح وإنما ألفه أحد معاصريه

— تكلم الأستاذ أحمد أمين على كتاب الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ، فاستهل الكلام بترجمة لأبي حيان ، ثم ذكر ما دعا أبا حيان لتأليف كتابه ؛ وبيان هذا أن أبا الوفاء المهندس هو الذي قرب أبا حيان من الوزير عبد الله العارض فسامر أبوحيان الوزير ستاً وثلاثين ليلة؛ فسأله أبو الوفاء أن يقص عليه جميع ما دار بينه وبين الوزير فأجاب طلبه بهذا الكتاب . ثم حقق المحاضر شخصية الوزير أبي عبدالله العارض ورجح أنه هو الوزير أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصام الدولة البويهي . ثم ترجم لأبي الوفاء . ثم ذهب المحاضر في وصف الكتاب فبين تنوع موضوعاته وطرافتها وختم محاضرته بأن بشرنا أن الجزء الأول من الكتاب سيكون بأيدى القراء في شهر اكتوبر لهذه السنة وسيلحقه الجزء الثاني

— تكلم الأستاذ كاله على مخطوط لمحمد بن دنيال النوفى سنة ١٣١١ م عن خيال الظل في مصر أعده للنشر

— وألقى الأستاذ شاده محاضرة عنوانها « العمل المشترك بين الشرقيين والمستشرقين لدراسة الأدب العربي »

وألقى الأستاذ جب محاضرة عنوانها « بعض اعتبارات في نظرية أهل السنة عن الخلافة »

— وقال كسكل من دوزخ في محاضرة سماها « مقدمة لتاريخ بلاد العرب » : إن تكوين الشعب العربي بدأ في القرن الثاني للمسيح بعد أن أفسح له المجال سقوط دولة النبط . وزاد أن تكوين هذا الشعب ظهر في شمال الجزيرة أولاً واستدل على هذا بوجود اللغة العربية الفصحى على النقوش التي ترجع إلى القرن الثالث للمسيح

— وألقى آبل س بروكلمان محاضرة عن « الاتجاهات اللغوية في كتب الشعوبية » وبين أن الشعوبية تأثرت بالفارسية في فارس وباليونانية والسريانية في الشام والعراق . وهذا النوع من البحث يرفع الستار عن اندماج الحضارات المختلفة بالاسلام ويثبت لنا الكثير من تاريخ الفكر العام ، ويمكننا من دراسة تطور اللغات ومقارنة اللغات السامية

— وتكلم الأستاذ برتسل من جامعة ميونخ على « طرق الدراسات القرآنية وأغراضها »

— وألقى الدكتور بشر فارس محاضرة بين فيها طريقته في نقد الأدب العربي الحديث ، فابتدأ يعرض مذهبه من الناحية الفلسفية فقال إنه ينظر إلى الأدب الحديث من جانب اجتماعي لكي يلمس ظواهر الأزمة المعنوية والأخلاقية والثقافية التي يعانيها الشرق العربي في هذه الفترة . ثم أخذ يحلل ستة كتب ظهرت سنتنا هذه على سبيل التمثيل . فعرض للأزمة المعنوية بنقد كتاب في (منزل الوحي) لحسين هيكل ، و(على هامش السيرة) لطه حسين ، ثم للأزمة الأخلاقية بنقد كتاب (سارة) للعقاد ، و(في الطريق) للمازني ، ثم للأزمة الثقافية بنقد كتاب (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم ، و(سندباد عصري) لحسين فوزي. فخرج من هذا التحليل بتدليل مستقيم على شرح طريقته التي بينها في أول المحاضرة

— وشرح لنا الأستاذ فيت في محاضرة لطيفة اسطرلاباً صريباً صنع في دمشق برسم أمير دمشق سنة ٧٦٧ هـ

— وتكلم ليفي بروفنسال على رسالة وجدها في مكتبة لمدينة فاس وعنوان الرسالة « كتاب الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة » ألفها أبو الحسن على بن يوسف الكومى المديوني من سنة ٧٦٧ — ٧٧٤ هـ

القسم التاسع : ألقى الأستاذ سيمون أستاذ اللغة القبطية والحبشية في المعهد البابوي بروما محاضرة عن المخطوطات القبطية بلهجة الفيوم المكتشفة حديثاً والتي يرجع تاريخها من القرن الرابع إلى الحادي عشر للميلاد وبين قدر هذا الاكتشاف في تاريخ اللهجة القبطية الفيومية

— وألقى هومبهر محاضرة عن جريجوار القبرصي السرياني الذي عاش حوالي سنة ٦٠٠ م وتكلم على كتبه في التصوف وعلى أثر تاريخ الأدب الصوفي [illegible] في الأدب الصوفي البيزنطي والاسلامي

عود على بدء

بين الغــــرب والشرق

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية المقال الرابع)

٨ — يسخر المناظر من قولنا أن هناك صلة اليوم بين الثقافة والعلم على اعتبار أن الثقافة تنبثق من العلم ، نظراً لأن الحياة اليوم ينظمها العلم بقواعده المـادية — ويقول : أى صلة بين المبادئ الأدبية التى يقوم المجتمع عليها وبين علم طبقات الأرض . ونحن نقول إن هنالك صلة ، ومرد هذه الصلة أن العلم بكشفياته يقيم حياة مصبوبة على نمط معين ، ويتأثر بهذا النمط الانسان فى شعوره واتجاهاته ومنحاه ، بيان ذلك أن علم طبقات الأرض — وهى التى ضرب بها مثلاً المناظر — بما تنتهى إليه من اكتشافات لها أثر فى الحياة الأدبية ، ذلك أنه من المعروف الآن أن الكشفيات الأخيرة فى الصعيد من جهة أسوان كشفت عن مناجم للحديد يمكن استغلالها لمتوسط نصف مليون طن سنوياً لألفى عام . فهذا الاكتشاف الذى مرده البحوث العلميـة فى طبقات الأرض لو استغل استغلالا صناعياً فى مصر لأقام صناعة فى مصر يشتغل فيها على أقل تقدير ثلاثة ملايين عامل ، ومثل هذه الحياة الصناعية تحدث تغيراً فى الحياة الأدبية والتصورات والأخلاق ، إذ يحدث تطور من صور حياة أدبية لشعب زراعى إلى حياة تكافئ جماعة أخذت بالصناعة ، وعلى هذا الوجه يستبين مفهوم كلامنا ولقد ضربنا مثلا بمصر وبطبقات الأرض التى شاء مناظرنا أن يسخر اعتماداً عليها من قولنا بانبثاق الثقافة من العلم فى مدنيتنا الراهنة لتظهر حقيقة غائبة عن العقول فى مصر الحديثة في منحى الاخذ بها نحو الحياة الأوربية الصحيحة باقامة مجتمع صناعى فيها

أما محاولة المناظر التلاعب بكلامنا بإظهاره فى صورة يخترمها تناقض ، فهذا ما نأخذه ونحاسبه عليه ، فلقـد قلنا إن الثقافة تنبثق من العلم ومعنى هذا أن الثقافة شىء والعلم شىء ، وأخذنا على اليابان أنها أخـذت بنتائج العلم الأوربى ولم تأخذ بالعلم الأوربى نفسه فكان نتيجة ذلك أنها عاشت عالة على أوربا فى علمها وحضارتها ؛ وأنها احتفظت بثقافتها التقليدية مع الأخذ بنتائج العلم الأوربى ، بمعنى أنها لم تأخذ بعلم أوربا وتقيم لنفسها ثقافة تقليدية جديدة تتكافأ مع العلم الأوربى ومنطقه وتنبثق من أسسه . فأين التناقض فى قولنا هذا ؟

لا يا صديق ، لا يكون الـكلام باسقاط بعض القول . قلنا إن اليابان أخذت بنتائج العلم الوضعي ، فجعلتها يا صديق أنها أخذت بالعلم الوضعى ، وشتان بين الاثنين !

لسنا جوادى رهان نتسابق . ولسنا في مجال نريد أن ننتصر لرأينا حقاً أو باطلا. إن فى أعناقنا مصير قضية ملايين من حيث تعلق مصيرها بقضية الغرب والشرق فيجب أن تكون وجهتنا الحقيقة وعدم تزييف الكلام ...

٩ — يشكرنا المناظر على قولنا بأن المنطق شىء مشاع بين الأمم ، ظاناً أننا كنا أنكرنا مشاعيته من قبل ، وهذا ظن عريق فى الوهم . فنحن لم نغير من موقفنا شيئاً ... « المنطق مشاع ولكن يجب أن تمرن الأمم عليه قبل أن تصبح متنلفة فى تفكيرها ، إذ ليس المنطق أسلوباً فى التفكير يتبع وأتيجة يجرى

— وبحث بلايل من هيدلبرج عن بدء الكتابة بالحروف القبطية وذكر اكتشافه لورقتين من أوراق البردى يتبين منهما المحاولات الأولى للكتابة بالحروف القبطية ويرجع تاريخ هاتين الورقتين إلى ما قبل أوراق البردي الموجودة بهيدلبرج والتى ترتد إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأخبر أيضاً باكتشاف ورقة بردى ترجع إلى القرن الثانى بعد الميلاد تبين لنا كيف استعان المصرى بالحروف الديموطيقية لخط الحروف القبطية التى أخذت عن اليونانية

هذا وقد قامت مناقشات بعد إلقاء طائفة من المحاضرات ، رأيت إهمال ذكرها خشية الاطالة والاثقال ، وممن اشترك فى المناقشات فجاء بجديد أو دفع وهماً أو حقق مسألة متشابهة الأستاذ ماسينيون والدكتور طه حسين بك والأستاذ جويدى والأستاذ كولان والأستاذ كابار والدكتور بشر فارس والأستاذ كالنجهين والأستاذ كرنكو

« برلين »

مراد كامل
دكتور فى اللغات السامية

عليها ، إنما هى قبل كل شيء ميل عقلي واتجاه ذهنى يمكن أن يكتسب !

هذا ما قلناه فى مقالنا الأول ، فنحن عند رأينا بأن للمحيط أثرًا فى المنطق والتفكير المنطق . المحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى أو بتعبير أدق لنتوج الصلات والفواعل المتخالطة من المحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى أثر فى المنطق من حيث هو ميل عقلى واتجاه ذهني ، وفى هـذا سر قعود الشرقيين عن مجاراة الغربيين ، لأن منطقهم حينما يتكافأ ومجتمعهم ذا الطابع النسبى ، وحين يتغلب الطابع اليقينى على هذا الشرق فهذا المنطق النسبي سيقف عقبة كؤودا فى طريق رقي العالم الشرق .

سيأتى ذلك اليوم قريباً وذلك الزمان وشيكاً ، وستقوم العقلية اليقينية فى الشرق والمنطق الاثباتي فى العالم العربي نتيجة لتغلب الاتجاه الغربى على هذا الشرق بحكم كون الغرب مركز الجذب الاجتماعى فى عصرنا . إذاً فلسنا نحن فى حاجة إلى الانتقال إلى الغرب لاكتساب عقلية يقينية كما يقول المناظر ، إنما كل ما نحن فى حاجة إليه أن يتقوى الاتجاه نحو الغرب فتقوم العقلية اليقينية بين ظهرانينا . ومع هـذا فالدلائل قائمة على أن العقلية اليقينية أخذت طريقها إلى هذا الشرق ، وهى أوضح ما تكون في المفكر المصرى البحاثة اسماعيل مظهر وفى جماعة يحتذون حذوه اليوم .

أما ما يثيره من اعتراض لتمييزى بالفلسفة الاسلامية عن فلسفة ابن سينا والفارابى وابن رشد بأن فلسفة المفكرين فى الاسلام لم تكن تمت إلى الدين بصلة ، وليست إسلامية ولامسيحية فمرد ذلك التباس فى فهم مفهوم عبارتى ، فاصطلاح الفلسفة الاسلامية يعنى فلسفة الفلاسـفة الذين ظهروا فى الاسلام ، أو بتعبير أدق يعنى الجانب الفلسفى من المدنية الاسلامية . وإذاً يكون كل ما يبنيه على اعتراضه ساقط بسقوط الاعتراض نفسه

١٠ — يتعجب المناظر الفاضل من تحليلنا الفلسفة الاسلامية إلاّ أنها تعيد إرادة الله بنظام هـذا الـكون وسننه . واعتبارنا أنها نتيجة للأثر الاغريقي التى توارثته عن مدارس النساطرة والاسكندريين ، والواقع أنى حائر صدد هذا التعجب الذى لا أفهم له معنى. ولولا حسن ظنى بثقافة مناظرى وعلمه لقلت إن مردّه عدم الوقوف كلياً على فلسفة مدرسة الاسلام خاصـة والفلسفة عامة ، وإلا فما معنى التعجب من تقييد إرادة الله بنظام هـذا الـكون وسننه ؟

ولولا خشية الاطالة لكنت سمحت لنفسى أن أنقل نتفاً من كتب الفلاسفة أشرح لمناظرى الفاضل هذه المسألة ، وأظن أن فى إمكانه أن يغتنى مشقة هذا النقل بأن يراجع كتب الفلسفة وخصوصاً المطولات منها فيما يتعلق بارادة الله والخلق والابداع ..

* * *

وهنالك أشياء لو ذهبت أعلق عليها وأبين زيفها فى ردّ المناظر علينا ، لانتهيت إلى مقالين آخرين ، غير أنى أكتفى بما اجتزأته فى هـذا المقال والمقال الذى سبق ففيه الكفاية لاظهار زيف ما ذهب إليه مناظرنا الفاضل ، وإنى لأرجو مناظرى إن شاء أن يعاود الرد ألا يترك لشاعريته المجال فيصول ويجول ويتدفق على غير أساس علمى أو منهج بيّن ، وإلاّ لتعذر النقاش. فهاهو لم يخرج فى كل رده عما يؤيد وجهة نظره أو ما يرد على وجهة نظرى من الاجتماع والتاريخ

لقد كان المناظر كالشلال الهدّار المتدفق فى رده ، ولـكن كان مردّ هذا طبيعته النفسية ، ولهذا كانت تتكسر أمواجه على حقائق الاجتماع والتاريخ فما يفيق من الاصطدام بالواقع الملموس وما تقيمه من حواجز أمامه حتى يعود فيرتد ليتدفق من جديد في اندفاع مردّه كما قلنا طبيعته القوية ، ولكن ليصطدم بحقائق الواقع فيرتد لينسبط ويتعرج لآفاق وأودية جديدة ، وهكذا ... ولـكن إلى متى أيها الصديق ؟

إنى أعوذ الصديق من وضعه منطقه الخطابى وأسلوبه الفياض فى نصرة قضية زائفة إلى الحد التى لا تجد لنفسها ما يسندها وتقوم ... وإنى وإن كنت قد شددت القول على صديق المناظر فما بى الحاجة أن أقول له إن مردّ هـذا ما عليه الموقف على ، وصديق يعرف ماله من الاعتبار عندى ، فلعل فيما قدمت ما يعتذر عنى عنـد الصديق الـكريم وحسبى فى كل ما كتبته الحقيقة ، والحقيقة ضالة الانسان فى هذه الحياة ، لا يرتاح إلا بأن ينتهى إلى وجه منها .

« أبوقير » اسماعيل أحمد أدهم

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٩ —

الحب دنيا خاصة طليقة

فى الاستعراض السريع الذى قمت به فى أوائل الحديث عن « غزل العقاد » عرضت رأيه فى « الحب » بالعدد ٢٦٦ من الرسالة ؛ وقلت : إنه يراه « رفعة للنفس ونقلة إلى عالم النجوم ، وأنه قدرة قادرة تهب أصحابها مشابه من الألوهة ومقابس من النبوة »

فمن كمال هذا الرأى أن أذكر اليوم أن من خصائص غزل العقاد ، شعوره بأن الحب يطلقه من قيود الزمان والمكان وضرورات الفناء ، ويمنحه دنيا خاصة طليقة من كل قيد معهود.

ولا يكون الشعور بالحب هكذا ، حتى يكون صاحبه ذا نفس محلقة ، وذا طبيعة ناضجة ، وذا إحساس مترف . فأما النفس المحلقة فهى لازمة له ليتخلص من قيود الزمان والمكان والضرورات عامة ؛ وأما الطبيعة الناضجة ، فهى ضرورية له ليخلص من اللهفة والوله إلى التأمل والترفع ، وأما الاحساس المترف ، فليغنى به عن المتع الرخيصة إلى الانتقاء والاختيار

وفى هذا المجال أذكر مقطوعتين : الأولى بعنوان « عهد بين عامين » يقول منها :

«سعاد» وياحسن هذا النداء   إذا ما وجدتك لى صافية
نسيت التواريخ إلا التى   تعود بذكرك لى راوية
فأنت الزمان وأنت المكان   وأنت غنى النفس بالغاية
ولست أعد حساب السنين   بالشمس طالعة غافية
ولكن بوجهك لي مقبلا   ونظرتك الحلوة الساجية
فيوم الرضا عالم حافل   من الحب والذكرة الباقية
ويوم النوى عالم مظلم   تضل الشموس به هاوية

والثانية بعنوان « سنة جديدة » وفيها يقول :

أدركنا موكب السنين   فى موكب الحب سائرين
والحب من يمش ركبه   يساير النجم كل حين
راجع حساب السنين يا   نجم ، فما نحن حاسبين
أبا لألوف احتسبتها ؟   أم لم تزل تجمع المئين ؟
ياسنة أقبلت لنا   أقبلت ميمونة الجبين
وداعنا فليكن غدا   كما التقينا ... أنسمعين
فى موكب الحب نلتقى   وفيه نمضى مودعين

وفى هذه القطعة يتضح المعنى الذى نحن بصدده ، فهو يفرض أن الدنيا كلها تسير فى موكب السنين العادية ، وهما يسيران فى موكب وحدهما ، وقد تقابل الموكبان صدفة ، ثم يدع للنجم أن يعدّ سنيه ر[illegible] حسابه لنفسه ، فما هما بحاجة [illegible] الحساب ؛ ولكنه يطلب فقط من هذه السنة التى صادفتهما سائرين فى موكب الحب أن تودعهما وهما فى هذا الموكب نفسه ، وهى كناية ظريفة عن الرغبة فى دوام الحب واستمراره

وغير هاتين القطعتين كثير متفرق مما يطرق هذا المعنى ويعبر عن هذا الاحساس الذى هو إحدى خصائص غزل العقاد

الحب مطلوب لشوكه كزهره

والحب عند الكثيرين متعة ولذة أو جوى وحرقة ، أما هو عند العقاد فقوة من قوى الطبيعة ، الشوك فيه كالزهر ، والشر كالخير ، كلاهما مطلوب لذاته ، والألم فيه مقبول لأنه كاللذة عنصر فيه أصيل

ولن ينظر إنسان إلى الحب هذه النظرة حتى يخلص به إلى مرتبة «التجريد» بعد أن يسمو به عن الاحساس القريب المحدود

ففى قصيدة « القربان الضائع » يقول :

إله عرش الجمال ما بي   يقصر عن وصفه خطابى
ما لضحاياى لا أراها   لديك بالموضع المجاب
ألوم ؟ أم لا يلام رب   يكافئ الحب بالعذاب ؟
وكم تجافى إله قوم   عن سنة العدل فى الحساب
يأبى القرابين غاليات   ويرفع البخس غير آب
فانبذ كثيرى فكل حب   فيه عطاء بلا ثواب
وكن كما كان كل رب   جل عن الصدق والجواب

إنى أشبُّ الهيامَ عمرى | فى قبلة القلب كالشهاب
فارمقه أو غض عنه لكن | دعه على الدهر فى التهاب
ولا تخل برده سلاماً | فالنار خير من التراب
حبك إن أخل منه يوماً | خلوت فى عالم خراب

فهنا محب لا تقبل ضحاياه ، ولكنه يريد هذا الحب مشبوباً ، ولا يريده برداً ولا سلاماً إذا كان هذا السلام يطفئ شعلته ويخبى أواره فيتركه فى عالم خراب

وهو فى قطعة عنوانها « فى البعد والقرب » يبدأ بالتشكى من اختلاف حال البعد والقرب من حبيبه ، فيريد ألا يكون فى البعد ناراً . ثم يستدرك فيطلب إليه أن يكون عذاباً كما كان نعيما لأن الحب لا يكمل إلا حين يكون هذا وذاك :

لن يطيب البعد يوماً لن يطيبا | هين علىَّ اليوم إن كنت حبيبا
لا تكن ناراً من الشوق ولا | دمعة حرى ولا قلبا كئيبا
لا تكن صحراء فى البعد وقد | كنت لى فى القرب بستاناً رطيبا
إن تغب شمسا فأوص النوم بى | قبل أن تعرض عنى أو تغيبا

* * *

ياحبيبى بل فكن ما كنت لى | صانك الله بعيداً وقريبا
واجمل الأنس نصيبى فاذا | غبت عنى فاجعل السهد نصيبا
كن نعيما وعذابا ، ومنى | تملأ النفس ، وحرماناً مذيبا
هكذا الحب دواليك فمن | لم يكنه لم يكن قط حبيبا

ولن يقول الانسان هكذا إلا وهو مؤمن بالحب أشد الايمان متقبل منه كل ما يأتى به كما يتقبل المؤمن الصوفى كل ما يأتى به الاله فى خشوع ورضا واطمئنان

ولا يقف هذا الاحساس فى العقاد عند هذا الحد ، فقد يكون بعض الشعراء جاش فى نفسه مثله ؛ فإنما هو فى قطعة ثالثة يتلهف على شوك الحب لهفته على زهره ، لأن هذا الشوك دليل عنده على قوة الحب ونمائه وفورته ، فحبذا هذا الشوك إذن فى دلالته ، ولا حبذا المشب المريع من عتيد الحب ، ولو استنام له الآخرون واستروحوه واستلانوه ؟ وذلك فى قصيدة فريدة بعنوان « يومنا » وفيها يقول :

سنة كانت ربيعا كلها | بين روض يتثنى ويضوع
زهر ناهيك من زهر فأن | أنبتت شوكا يكن شوك ربيع
حبذا الشوك من الحب ولا | حبذا من غيره المشب المريع

فاذا وجدنا من المحبين من يقول : سأقبل الشوك من الحب تضحية واحتمالا ، فلن نجد فيهم من يجد فى طلبه ويمدحه لأنه شوك ربيع ، فهو دليل حياة ونماء فى هذا الحب المطلوب المرموق

وهذه — كتلك — إحدى خصائص غزل العقاد

التمتع الفنى بالحب فى كل حالة

وإذا كانت هذه نظرة العقاد إلى الحب ، فكل حالة من حالاته إذن مقبولة ما دامت حية نامية ، وهو إنما يرتقى به عن المتاع الحسى إلى المتاع الفنى ، فى رفاهية وترف وطرافة ... اسمعه يحدثك عن « شوق إلى ظمأ » والعنوان نفسه يوحى بما وراءه :

رضنى بيومك إن بدا لك ، واترك | لى من رضاك غداً علالة طامع
ليس ابتعادك عن هواى بمبعد | عنى هواك ، وليس منعك مانعى
إنى لألتذ الصدى وأطيله | شوقاً إلى برد الشراب الناقع

وقد نعرف شاعراً يصبر على البعد ، ويستعيض بالذكرى والحنين ، عن اللقاء والاجتماع ؛ أما أن يطلب الشاعر أن تضن عليه حبيبته يوما حين يبدو لها ، لأنه يلتذ الصدى ويطيله ليلتذ برد الشراب ، فهذا هو الطريف ، وهو وليد الطلاقة الفنية ، والثقة الماتئة !

وكذلك هو فى قطعة « سحر السراب » :

هذا سرابك جنة تغرى | يا فاتنى بالقرب والذكر
صحراء بعدك ما خلت أبداً | من كوثر فى أفقها يجرى
لكنه يغرى وليس به | رى ، وعندك لجة النهر
وإذا السراب خلت كوائره | من مائها لم تخل من سحر
فافتن بذاك وذاك يسف لنا | أمن المقيم ولهفة السفر

فهو مستمتع بكل حالة ، وإذا فاته رى النهر ، فلن يفوته سحر السراب ، وهذا إنما هو فتنة الشاعر ، إذا كان ذلك فتنة الانسان ، والعقاد إنسان وشاعر وكلاهما فيه متفتح يقظ ممتاز

و « قبلة بغير تقبيل » ومن يستطيعها حتى يكون من دقة الحس وقوة التشخيص ما كان العقاد ، وهو يقول :

بعد شهر : أنلتقى بعد شهر | بين جيش من النواظر مجْر ؟
لم يحولوا سوحقهم بين روحينا | وإن أزمعوا طول صبر
عت القبلة التى تشتهيها | كلها غير ضم ثغر لثغر

تم منها شوق ، ورفَّ شفاه   وهوى نية ، وخفقة صدر

وهكذا يحال القبلة الواحدة إلى عناصر وأحاسيس ، كل منها وحدة تكون جزءاً ، ثم ينظر ما تحقق من « وحدات » القبلة ، فإذا هو كل عنصر روحي فيها ، فلم يبق إلا مظهرها الحسي وهو « ضم ثغر لثغر » وهذا غير ذي غناء لدى محب فنان !

ومن آثر ما يروى في هذا المجال ، أبياته في « عابر سبيل » بعنوان متاع جديد ، وهي فن وحدها ، ولكنه ذو علاقة ببحثنا هذا. وإنما هي امرأة في الأربعين في محياها ثنايا وغضون كما يكون في بنت الأربعين ، ولكن بث الغرام أحيا قلبها ، ففاض بالجمال على وجهها ، وسوى غضونه وثناياه ، فكانت بذلك خريفاً أحاله الغرام ربيعاً ، وكانت بذلك شيئاً طريفاً لما فيه من معنى عودة الماضي ، وهو المستحيل في دورة الأيام :

من جديد المتاع يوم خريف   تحت وهج السماء عاد ربيعا
ومحيًّا في الأربعين وديع   تحت بث الغرام شب سريعا
نضح القلبُ بالجمال فسوَّى   من ثنايا الغضون وجهاً بديعا
ذاك أحلى من الشباب شبابا   ومن النفس ما يهز رجوعا

يعجبني في هذه الأبيات — أولاً — صدق ملاحظة الواقع ، فالمرأة في هذه السن أشد ما تكون استجابة لوهج الغرام ، وهذا أسرع ما يكون في إفاضة الحيوية عليها ، حتى لتصنع المعجزات في سيماها ، وكأنما تخلق خلقاً جديداً . و— ثانياً — تعبيره : « نضح القلب بالجمال » فالقلب هنا هو الذي نضح بهذه الحيوية ، فسوى ما شوهته الأيام . و— ثالثاً — استطرافه لهذا الجمال العائد المفلت من قيود الزمان بقدرة الحب الفنان . و— رابعاً— حسن استمتاعه بهذه الحالة ، وهو ما سقنا لأجله هنا هذا المثال

وهذه الثالثة من خصائص غزل العقاد

نضوج وفهم للأنوثة

ولقد كنت تحدثت عن مظاهر النضوج النفسي والفني في غزل العقاد ، وفي « سارة » بوجه خاص . فالآن أكمل هذا الحديث، حينما يطلع الناقد على فهم العقاد الكامل للمرأة، وخبرته بمسارب الأنوثة فيها ومطالبها لديها . وهذه لا تكون إلا حيث يكون نضوج الشخصية ، وكمال التجربة ، ووفرة الملاحظة

فيبدو لمن يقنعون بظواهر الأشياء أن المرأة حينما تحب تريد أن « تأخذ » من حبيبها ، وتنتظر هداياه ومواهبه ومنحه ، وإنما هي في الواقع — حينذاك — تتأبى لأن « تعطى » كل شيء ، بل هي تتأبى لأن « تؤخذ » أخذ المشتهي المنتهب ، فتحس حينئذ أنها ذات قيمة تستحق من أجلها الأخذ والحيازة !

« قال الشاعر الفرنسي « دوجيرل » لحبيبته : « لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء ، وما على الأرض من بحار ، ولأعطيتك الملائك والشياطين الحانية بين يدي قدرتي وقضائي ، ولأعطيتك الهيولى وما في أحشائها من رحم خصيب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين — ابتغاء قبلة — واحدة »

وسئل العقاد : « وماذا تعطيني أنت لو كنت إلها ؟ » فقال :

أعطيك ؟ ! كيف وما العطاء بخير ما
تبدي القلوب من الغرام الصادق !
بل لو غدوت كما اشتهيت وأشتهي
ربًّا ، أخذتك أنت أخذ الواثق
فترين أنك حين فزت بحظوتي
أحلى وأكرم من جميع خلائقي
وتسيطرين على الصروف وفوقها
نبضات قلبي المستهام الوامق
إن كان رب الكون عندك قلبه   أهون لديك بأنجم وصواعق !
وبكل شمس في السماء وضيئة   وبكل بحر في البسيطة دافق !

ويبدو هذا الفهم في كل غزل العقاد ، ولكن هذه القطعة أوضح مثال على هذا المذهب فيما بين الرجال والنساء ، في الحب الناضج الطبيعي الصحيح

* * *

عنيت أن أطرق هذه النواحي في غزل العقاد ، وأختار هذه الأمثلة بالذات ، لأوسع الأفق أمام من يهمهم مذاهب الاحساس والتعبير ، ولا سيما في الغزل الذي هو أرحب مجال للأدب النفسي الانساني ، وما من شك أن هذه آفاق جديدة لم يطرقها الشعر العربي إلا لماما ، فهي ثروة تضيفها المدرسة الحديثة ، لا للأدب العربي وحده ، ولكن للأدب الانساني كله . وما بقليل أن يكون لنا شاعر مصري يضيف إلى آداب الانسانية عامة في الذروة من هذه الآداب

وقد بقيت لي كلمة أخيرة في « غزل العقاد »

فإلى اللقاء   سيد قطب

جورجيـــــاس

أو البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١١ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الـ.. ف ، لأنها أجل محاوراته وأكثرها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائماً وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ب — (رداً على سقراط) وإذاً فكل من يقتل « بعدل » يبدو لك شقياً وجديراً بالرحمة والرثاء ؟!

ط — كلا . وإنما هو لا يبدو على الأقل جديراً بأن يُحسدا

ب — ألم تقل تواً إنه شقي وتعس ؟؟

ط — لقــد قلت ذلك يا رفيقي عمن يقتل ظلماً وعدواناً ، وأضفت إليه أنه جدير بالرحمة والرثاء . أما ذلك الذي يقتل بعدل فأقول عنه إنه لا يجب أن يثير حسداً ما !

ب — لا شك أن من يستحق الرحمة والرثاء هو ذلك الشقي الذي يموت ظلماً وعدواناً !

ط — ولكنه — مع ذلك — أقل في شقائه وفي جدارته بالرحمة والرثاء من ذلك الذي قتله ومن ذلك الذي مات موتاً عادلا

ب — وكيف ذلك يا سقراط ؟

ط — ذلك لأن أفدح الشرور هو ارتكاب الظلم !

ب — أيكون ارتكاب الظلم أفدح الشرور ، ولا يكون تحمله أفدح من ارتكابه وأنكى ؟؟

ط — كلا يا بولوس !

ب — وإذاً فأنت تفضل احتمال الظلم على ارتكابه ؟!

ط — لستَ أرغب في هذا ولا ذاك . ولكن إذا وجب عليّ إطلاقاً أن أختار بينهما فإني أفضل احتمال الظلم بدلا من ارتكابه !

ب — وإذاً فسوف لا تقبل أن تكون طاغياً ؟

ط — كلا . إذا كنت تفهم الطغيان كما أفهمه !

ب — إني لأعيد عليك فكرتي عنه وهي أن يفعل المرء ما يشاء في الدولة من قتل ونفي إشباعاً للذاته !

ط — حسن جداً يا بولوس ، فاسمح لي إذاً أن أتكلم وانقدني عند ما يحل دورك . هب أني أخفيت خنجراً تحت إبطي ثم جئتك في الوقت الذي يزدحم فيه الميدان العام بالجمهور وقلت لك : « إني لأرى نفسي حائزاً لقوة هائلة تعدل قوة الطاغية ، فإذا قررت أن الأصلح هو أن يموت أحد هؤلاء الذين تراهم فإنه يموت في الحال ، وإذا قررتُ أنه يجب أن تتحطم رأس أحدهم فإنها تتحطم فوراً ، وإذا قررت أنه يجب تمزيق ثيابه فإن ثيابه تتمزق ما دامت قدرتي عظيمة في المدينة » ... فإذا رأيت بعد ذلك أنك لم تصدقني أبرزت لك خنجري ! ولكنك قد تقول لي حينئذ : « وإذاً يستطيع كل الناس على هذا الأساس أن يكونوا أقوياء لأنهم يستطيعون بنفس الطريقة أن يحرقوا المنازل التي يريدونها ، ومخازن أسلحة الأثينيين وسجونهم ، بل وكل السفن التجارية الحكومية والأهلية ! » ... فترى هل تعتقد أن عظمة

[1] ادعى « بولوس » في العــدد الماضي أن الجبابرة الذين يقتلون من يـ..ون أو ينفونه ويجردونه من ثروته أقوياء وسعداء ، وأنهم جديرون بأن يكونوا موضع حسد أولئك الذين لا يستطيعون أن يفعلوا فعلهم . وقد عجب « سقراط » من ذلك القول وراح يثبت أن أمثال هؤلاء الجبابرة ضعفاء لأنهم لا يفعلون ما يريدونه عن روية وتفكير ، وإنما هم يشبعون فقط رغبا..م الجائرة وشهواتهم الطائشة . وأمثال هؤلاء تجوز عليهم السعادة ولا يجدر بنا إلا أن نرثى لحالهم كل الرثاء . وسنرى اليوم كيف يتقدم الحوار بين الفتى والشيخ حول ذلك الموضوع الذي هو جوهر المحاورة ولبها

« المعرب »

القوة قائمة فى أن نعمل ما يسرنا أن نفعله ؟؟

ب — إذا كان الأمر فى مثل هذه الظروف فكلا بالتأكيد!

ط — أتستطيع أن تذكر لى ما تأخذه على قوة كهذه القوة؟

ب — بلى !

ط — وما هو إذاً ؟؟ تكلم !

ب — إذا فعل الانسان هكذا فانه يعاقب بالضرورة !

ط — أوليس العقاب شرا ؟

ب — من غير شك !

ط — وإذاً فقد حكمت أيها الشاب العجيب بأن الانسان يكون « ذا قوة عظيمة » عند ما يرى فى إشباع رغباته مصلحة له وخيرا ، وقلت إن هذا ما يبدو أنه قوة كبيرة ، وأن كل ما عداه شر وضعف ! ولكن لنختبر ذلك أيضاً : ألا توافق على أنه قد يكون الأفضل أحياناً أن ننفذ ما نتحدث عنه فى الحال كقتل المواطنين ونفيهم وسلبهم ، وقد يكون الأفضل ألا ننفذه ؟

ط — وإذا يبدو أنك متفق معى على هذه النقطة ؟

ب — بلى

ط — وإذاً ففى أى الأحوال ترى أن الأفضل تنفيذ تلك الأفعال ؟ أرجو لو تحدد لى الموضوع !

ب — الأفضل أن تجيب أنت نفسك على سؤالك ياسقراط

ط — حسن يابولس . ! وما دمت تفضل أن تسمع منى فانى أقول إن الأمر يكون أفضل عندما ننفذ فعلا منها بعدل ، ولا يكون كذلك عندما ننفذه بظلم ! .

ب — لعمرى إن مناقضتك لصعوبة جلية ياسقراط ! فالطفل نفسه يستطيع أن يبرهن لك على خطئك !

ط — لأكونن مدينا لهذا الطفل ولك بكثير من الشكر إذا ما ناقضتمانى وتخلصتما من بساطتى وجهلى ! ، وإذا فلا يضجرك الاحسان إلى من يحبك يابولوس ، وامض فى مناقشتى !

ب — لن أحتاج فى مناقضتك إلى الرجوع بك إلى الماضى وأمثلته لأن حوادث البارحة واليوم كافية لأن تثبت خطأك ، ولأن تريك أن الظلمة من الناس غالبا ما يكونون « سعداء » !

ط — أية حوادث تقصد ؟

ب — ألست ترى — من غير شك — « أرشليوس » Archélios ابن « بردكاس » Perdicaas الذى يحكم اليوم « ماسيدونيا » Macédoine [1]

ط — إذا كنت لا أراه فانى سمعت عنه كثيرا .

ب — حسن فهل تراه سعيدا أم شقيا ؟

ط — إنى لا أعرف عنه شيئا يابولوس لأنى لم ألتق به بعد !

ب — لتدركن سعادته إذا ما التقيت به ! والواقع أنك لن تعرف فى هذه الناحية غير سعادته فحسب

ط — كلا وحق زيوس يابولوس !

ب — وإذا فنستطيع أن نؤكد أنك تجهل أيضا إذا كان أكبر الملوك وأعظمهم ، سعيدا أم شقيا ؟

ط — ولن أكون مخالفا للحقيقة فى ذلك ما دمت أجهل ما عسى أن تكون عليه نفسه من « عدالة وعلم » !

ب — كيف ؟ وهل تقوم « السعادة » فى العدالة والعلم وحدهما ؟

ط — نعم ، حسبما أرى يابولوس . فأنا أدعى أن كل أمين عادل — رجلا كان أو امرأة — يكون سعيدا ، وكل شرير ظالم يكون شقيا !

ب — وإذا فهـذا « الأرشليوس » شقى تبعا لقولك ياسقراط ؟ !

ط — حقا ياصديقى إذا كان ظالما !

ب — وكيف كان يستطيع أن يكون عادلا ؟ ، إنه لم يكن له أدنى حق فى العرش الذى يتربع عليه اليوم لأن أمه كانت جارية « لألكيتيس » شقيق « بردكاس » ، وكان هو — تبعا للعدالة — عبدا لسيد أمه . فلو أراد العمل بالعدالة لخدم سيده وسعد بذلك حسبما تدعى ، ولما عرض نفسه للشقاء الماثل بارتكابه أفظع الجرائم وأشنعها [2] ...

محمد حسن ظاظا

(١) قتل هذا الرجل عمه وابن عمه كى يصل إلى العرش لأنهما كانا أحق به منه . ومات مذبوحا سنة ٣٩٩ ق . م أى قبل تناول سقراط السم بقليل . ويقال إنه كان يدعو المفكرين إلى قصره آن لآخر وأنه وجه دعوته يوما إلى سقراط فترفع عن تلبيتها « المعرب »

(٢) وسنرى فى العـدد القادم إن شاء الله تكملة هذه القصة الأليمة التى يزدحم تاريخ القصور الملكية بأمثالها كما تقرأ فى تاريخ « البوربين » مثلا وتاريخ ملوك « التيودور » — وكما نرى فى حياة كثير من العظماء حيث لا يخلو الأمر فى الغالب من « ظلم » ينزله العظيم بغيره كيما يخلو له الطريق ، والحق أن حياتنا اليومية مزدحمة بالكثير من هذه المآسى . أليس أكثر الأغنياء « ظالمين » للفقراء ؟ أوليس بعض المرؤوسين أجدر بمناصب الرؤساء؟ سنرى المحاورة من الآن فصاعدا تدور حول هـذه الموضوعات الطريفة وتبلغ فيها ذروة الروحانية والعدل والفضيلة « المعرب »

لبنان الشرقى

مصطاف الزبدانى

للأستاذ عز الدين التنوخى

أنا اليوم مصطاف من لبنان الشرق فى وادى الزبدانى الذى لو نزله من قبل لامرتين لوصفه بما لم يصف به وادى حمانا فى لبنان الغربى ، ولا سيما بجفاف الهواء ، وصحة الماء ، واعتلال النسيم ، واعتدال الاقليم

أجل، إن لبنان الشرق ليمتاز بجفاف الهواء لبعده عن دارة البحر ولقربه من البيداء ، ولذلك وصفه مشاهير الأطباء للمصابين بأمراض الرطوبة كالرثية — الرومتيزم — والسل وعرق النسا ، ووصفوه لعين « بُقَّين » التى تكاد تكون منقطعة النظير بين عيون بلاد الشام كلها فى صفائها وخفة مائها ، وما اشتملت عليه من عناصر تذيب الرمل والحصاة ، وتزيد فى الهضم ما تشاء فتتعب الطهاة . ولقد أشرت إلى عجيب تأثيرها فى السنة الماضية حينما وصفت فى هذه الرسالة عين الصحة المنبجسة من جبال حمانا فى لبنان الغربى

ليس مجال القول ذا سعة فأسهب فى وصف وادى الزبدانى الجميل ، ولذلك اقتضبت الكلام فى تحليته اقتضاباً : بذكر ما فيه من الطرق المعبدة والمغانى والمبانى ، وبيان ما استوفاه من منافع وروائع تبر المصطافين وتسر الناظرين ...

يمتد وادى الزبدانى الجميل من الجنوب إلى الشمال بين طودين أو سلسلتين من الجبال الشرقية والغربية ، وعلى سفوح الطود الشرقى تضطجع قريتا مضايا وبُقَّين وقصر الجرجانية الأندلسى، وقرية بلودان أعلى قرى الوادى وفيها الفندق الفخم الذى يعد من أجمل مصور الفنادق الشامية ، وفى الجانب الشمالى من بطن الوادى قامت قرية الزبدانى أم القرى ، ومهوى قلوب الورى

إن شرايين الحياة فى هذا الوادى هى طرقه الكثيرة المعبدة المزفتة ، والزفت شاع أنه نعت سوء فى كل شىء إلا فى الطرق ، فانه وصف خير ونعت يمن فيها يلبد غبارها ويقى السالك عثارها ، منها الطريق السلطانية التى تصل دمشق بالزبدانى ، وطريق مزفتة تصعد من الزبدانى إلى بلودان ، وأخرى مثلها تربط الزبدانى بالجرجانية وبقين ومضايا ، وطريق مخضرة أخرى تصل قريتى بقين ومضايا بطريق دمشق على مقربة من مفرق طريق منبع نهر بردى : نهر دمشق الذى وصفه حسان بأنه « يصفق بالرحيق السلسل » وذكره شوقيا محيياً دمشق بقوله :

سلامٌ من صَبا بردى أرقُّ ودمع لا يُكفكف يادمشقُ

أما أم قرى هذا الوادى البهيج فهى الزبدانى مركز القضاء وعامله القائم[1] بشؤونه رجل من أفاضل الرجال غيور على عمرانه، وتوفير أسباب الهناء والبلهنية على نازليه وسكانه ؛ وفى الزبدانى محكمة يرأسها قاض[2] ماض فى أحكامها ، ومستوصف طبى للحكومة تام الأدوات يديره طبيب نشيط[3] يداوى الأغنياء من المصطافين والفقراء على السواء . ولا يتقاعس عن تلبية نداء المرضى فى مساكنهم، يعودهم ليضعف من الداء الآلام ، وليقوى فى الشفاء الآمال ، ثم هو يعطي الأدوية مجاناً للبائس والمعتر حتى الغنى المضطر إن لم يجد علاجه فى صيدلية الزبدانى[4] العامة . وفى قرية بلودان صيدلية كبيرة ، وفى مضايا أخرى صغيرة[5] ، وبذلك يجد المصطاف الصحيح فى وادى الزبدانى نعميه المقيم وهناءه ؛ والمريض لا يعدم فى مغانيه طبيبه الحاذق وشفاءه

ومما تمتاز به الزبدانى على سائر قرى الوادى أنها مركز السيارات، وإن فيها محطة القطارات، فهى ملتقى الحاضر والبادى، ومنتدى الرائح والغادى، كما تمتاز برخص أسعار الثمار و كثرتها، وتنوع الخضراوات الغضة ووفرتها ، وبسوقها الكبيرة المشتملة على جميع ما يحتاج إليه الاصطياف والانتجاع ، وبمتنزهاتها المستوفية لشرائط الابداع والامتاع

بعض مناظرها الساحرة : كل ما فى وادي الزبدانى بهيج جميل : بهيج لعمرى مقهى أبى زاد ومنظره الساحر الجميل ، ومقهى بقين وعينها التى يحق أن تسمى السلسبيل ، وجميل كل الجمال قصر الجرجانية الأندلسى بشلالاته وفواراته ، وفخم كل الفخامة فندق بلودان بمقصوراته وحماماته ، ورائعة – شهد الله –

---

(١) هو السيد خيرى رضا قائم مقام القضاء

(٢) السيد سعاد العظمى (٣) السيد سليم العطار

(٤) فرع الصيدلية الوطنية المشهورة بدمشق

(٥) فرع صيدلية القنوانى بدمشق

قرية مضايا بصفاء سمائها . وصحة هوائها ، وماذا عسى أن يقول قائل فى محاسن الزبدانى ومغانيها ؟ فلعل أصدق مايقال فى جنتها قول الشاعر [1] فى وصف دمشق وغوطتها :

هذه الغوطة ما أبهجها وهى فى نيسان قيد المجتلى
قال سبحان الذى دبجها من رآها فتنة للمُقَل
إنه قد شاء أن يخرجها جنة فى الأرض للمستعجل

إن بطن هذا الوادى المبارك ينقسم إلى قسمين شمالى وجنوبى: أما الشمالى منه فمامر يبدو بلون أشجاره أخضر نضراً ؛ وأما الجنوبى منه فجله غير مغروس ومختلف ألوانه : هذه بقعة منه محصورة تبدو صفراء فاقعة ، وهذه بقعة محروثة تبدو حمراء قانية، وتلك رقعة بائرة لم تحرث ولم تزرع فهى نارنجية غير قرمزية ؛ وهنالك رقعة مزروعة يضرب لون خضرتها القاتمة إلى السواد فتجتلى عين الناظر من هـذه البقاع وهاتيك الرقاع مجموعة من الطنافس المحروثة والزرابى المبثوثة تستهوى الأفئدة وتقيد النواظر

إن من ينكر السحر من أهل هـذا العصر يؤمن به مثلى بعد أن يرى ما رأيت من جمال إشراق الشمس على سلسلة الجبال الغربية ، ثم تزداد استيلاء الضياء حتى يغمر ما تحت الشناخيب والذرى فتزداد بهجة النفس ، فاذا ما بلغت الشمس أشجار الروابى المغروسة راعك مشهد سواد الأشجار مع بياض الأنوار فتخيلت التقاء الليل بالنهار عندما يتنفس الصبح فى الأسحار .

وإن أنس لا أنس تلك العشية التى ذهبت فيها إلى مغارة « الناووع » تلك العين التى لا يكاد يرتوى واردها لشدة بردمائها وفرط عذوبته ، وكان رفيقى الوفيق فى ارتياد هذه العين العجيبة الشيخ حسن بو عياد المغربى من زعماء الاصلاح فى المغرب الأقصى ، وهو على رأيى فى إصلاح المرأة باصلاح تربيتها وبيئتها ، ثم خرجنا من المغارة والشمس فى صفرة وجه العاشق الوامق فانتقلنا من لذة إلى لذة : من نشوة الارتواء إلى نشوة الاصغاء . ماذا رأينا من مشهد فخم ، وماذا وجـدنا من نسيم روح ، وماذا سمعنا من حسن لحن ؟ مشهد لعمر الحق رائع ، ونسيم روح غامر، ولحن مزمار ساحر . شهدنا فوق مغارة الناووع على سفح الجبل قطيعاً من المعزى يتيرمن ورائه مجاجة منتشرة ، ومن أمامه هاديه وراعيه يطرب قطيعه بألحان مزماره الجبلية ، كما يطرب الجيش بألحان موسيقاه الحربية ، وقد امتزج أنين المزمار برنين الأجراس، وكأنما كان الداعى يهنىء بسلامة الوصول قطيعه الطروب ، ويودع بلسان المزمار ملكة النهار الجانحة إلى الغروب ، ولا نزال القطيع الزاحف فى هبوطه حتى يبلغ قرارة الوادى فينقع ببرد الماء غليل الأحشاء ، ثم يتابع سيره الهادئ إلى حظيرته ونحن نتابعه بأبصارنا ، ونشيعه وأجراسه وراعيه وأنفاسه ، ولا نزال من خلفه مسحورين حتى يتوارى عن العيون بحجاب الليل ...

وهل أحدث أخى القارئ عن القمر ، وكلنا يهوى القمر ، وهيهات أن أنسى لياليـه القمراء على شاطئ البحر سفيراً ، أو لياليه السواحر والفلك يجرى بنا فى بحر النيل الجليل . لا، ولا أنسى تلك الليالى البهيجة ، والقمر يفضض الطبيعة من حولنا ونحن مضطجعون على هضاب المزة[1] الفيحاء . وما لى والحديث القمر فى الدهر الغابر ، وأنا أستطيع التحدث عنه فى هذا الشهر الحاضر ، ذاكراً للقارئ أن أهل دمشق من أعشق خلق الله للقمر ، ولو أن الدمشقى كان نباتاً لكان « عبّاد القمر[2] » فلقد أخبرنى عامل الزبدانى عشية أمس بأن عدد المصطافين فى الزبدانى وحدها قد بلغ فى هذا العام نحو ألف نفس يؤلفون مائتى أسرة ، ولكن هذا العدد يبلغ فى الليالى القمراء أضعافاً مضاعفة فيعج وادى الزبدانى بالمصطافين عجيج الحجيج ، ولكنهم من حجيج القمر . وتمتلئ الطريق السلطانية بين دمشق والزبدانى بالسيارات المثقلة بعشاق القمر ، وتغص بهم مقصورات القطار ، فى الليل والنهار ، وأقمار النساء تشارك الرجال فى عشق قمر السماء، وكأنه لا غنى للجنسين اللطيف والخشن عن المشاركة التى ازدادت فى هذا العصر تشابكا ووشوجاً . فهنالك التربية المشتركة والسباحة المشتركة ، والسباقات المشتركة ، وهنا فى الوادى النزه المشتركة ليالى القمر على طريق الجرجانية وبقين ومضايا .

إن تطور المرأة من الحجاب إلى السفور فالحسور كان سريعاً

(١) من موشحة فى وصف دمشق لكاتب هذا المقال .

(١) قرية جميلة غربى دمشق أنبتت تربتها كثيراً من العلماء كالحافظ المزى وضمت مثل سيدنا دحية الكلبى وشاعر دمشق ابن عنين وغيرهما .

(٢) ويسمى أيضا دوار القمر لأن زهرته الصفراء الشبيهة بالترس تدور مع القمر ، ويسمى بالفرنسية دوار الشمس tourne-sol

جداً في مصر ، ولكنه بطيء في ديار الشام ، ولا تزال الدمشقية مع تعلمها وولعها بالنهضة الاجتماعية تؤثر التدين الصادق على التمدن الكاذب ، والكمال والعفاف ، على الابتذال والاسفاف وبعبارة أوجز إنها تفضل السفور الشرعي على الحسور البدني ، فلا تخلو المرأة المسلمة ولا تسافر إلا بمحرم يحافظ على عرضها وشرفها ويحول دون ما يؤذيها ويرديها

ويزداد السفور الشرعي في دمشق يوماً بعد يوم ، ولا يلبث أن يسود على الحجاب أخيراً . ومن الناس من يقاوم هذا التطور الحيوي الذي لامناص منه بالسفاه والشتائم لا بالحجة والبرهان، بيد أن من عقلاء رجال الدين من يحب للفانيات سفور الراهبات الذي لاحسور معه ، ويسعى لاعادة الحاسرات إلى سفور الشرع المحتشم الذي يكفل للمرأة تعلمها وتقدمها ، والتربية الاسلامية في المنزل إذا كانت صحيحة تعد البنات للسفور الشرعي الشريف الذي تصان به الكرامة، وتوق به الحسرة والندامة . وليت رجال الدين يتعاونون تعاوناً معقولاً يتمكنون به من المحافظة على اعتدال المرأة المسلمة ، ويبرهنون به على إمكان تعلم المرأة وتقدمها مع ذلك الاعتدال ، وإلا فانا لانأمن جانب الفوضى في السفور الحاضر كما نشاهد من نماذجه المشوهة الفاسدة في وادي الزبداني من برانيط البنات وقبعات[1] الأمهات ، وارتياد السينما والقهوات ، وغشيان البالات والحانات ، ومما أوحى إليّ بالأبيات التاليات:

يا صبايا

ياصبايا الزبداني رأفة … بهواة الحسن منا ياصبايا
قنّعوا عمّن يراكم أوجهاً … صُقِلت حتى حسبناها مرايا
واستروا عنا عيوناً خُلِقت … لقلوب المستهامين بلايا
فوّقت ألحاظهن أسهماً … مُصميات نحن قد كنا الرمايا
لست أدري ما الذي قد فعلت … أسهاماً رشقتنا أم منايا
قد سرى يغزو الورى من فتن الـ … عين — ما أكثر صرعاها — سرايا

* * *

يا سقى الله المناديل التي … صنتمُ الأعراضَ فيها والملايا !
ولحى الله البرانيط التي … أخذت الأحسابَ منكم والسجايا !
كم عرتنا خجلاً من شربكم … عرقاً يعرقكم ديناً ورايا
في حمار الصَّون كنتم دُرراً … كن للأزواج لا غير هدايا
لم نكن نأمن منكم فتناً … في الزوايا ، كيف من بعد الزوايا ؟
والفؤادُ الحيُّ منا هدفٌ … لعيونٍ وخدودٍ وثنايا

* * *

مسرحَ الآلام قد هجتَ لنا … من رسيس الوجد والحب بقايا
اما إن لم أكُ أنسى زمنا … من حياتي فهو هاتيك العشايا
يارعاكَ الله لولا سربة … كنّ ينثرنَ على الناس الخطايا
رائحاتٍ غاديات ضَلّةً … بين « بُقّين » مساءً و « مضايا »
سافراتٍ حاسراتٍ وغدا … هنّ أنصاف عرايا فعرايا !

الزبداني — عز الدين التنوخي

(١) وهي التي تسمى بونه bonnet

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنـــــكولن

تهدير الأعراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

يا شباب الوادى خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم ... ...

— ٢٣ —

وإنه ليحق للمرء أن يتساءل . ألم يكن فى طاقة القائمين بالأمر يومئذ تجنب تلك الحرب الضروس ؛ تلك الفتنة التى لم تصب أوزارها فريقاً دون فريق ؟

إن هناك من يعتقدون أنهم كانوا قادرين على تجنب ذلك الصراع المنيف ، وهؤلاء ومن يرى رأيهم من المؤرخين يأخذون الساسة باللوم الشديد ، لا يعفون منهم أحداً ؛ ويجعلون نصيب كل من اللوم على قدر ما تواتى له من الجاه والنفوذ ؛ ولذلك فقد كان لنكولن عندهم أول الملومين وكبير المسؤولين عن ويلات تلك الحرب ويلى لنكولن فى ذلك جفرسون زعيم الاتحاد الجنوبى

ولكن الذين يتوخون الانصاف يرون أن الحرب كانت أمراً لا محيص عنه ؛ كان مردها إلى حركة ولدتها الأيام فما زالت تنمو حتى اتخذت آخر الأمر سبيلاً لم يكن فى الامكان أن تسلك غيرها ، لم تكن تلك السبيل لتؤدى إلى غير ما أدت إليه من نهاية دامية ؛ ومن ذا الذى يستطيع أن يلوى الأيام عن وجهها ؛ أو أن يتصرف فى الحادثات ليجعلها تفضى إلى نتيجة بعينها ؟

لقد كان للزمن والبيئة حكمها الذى لا ينقض وقدلها الذى لا يقف وسنتها التى لا تبديل لها ؛ فهؤلاء أهل الشمال كانوا كما ذكرنا أهل صناعة وأهل ثقافة بينما كان إخوانهم فى الجنوب أهل زراعة، ولم يك يتوفر لهؤلاء من العلم مثل ما كان يتوفر منه لأولئك الشماليين

وكانت أعمال الزراعة فى الجنوب تتطلب الأيدى الكثيرة ، وبخاصة حينما بدأت النهضة الصناعية وتزايد طلب القطن ، وكانت زراعة القطن أمراً مرهقاً ، لم ير الجنوبيون خيراً من إلقائه على كاهل العبيد ؛ ولذلك كان نظام العبيد عندهم أمراً يتعلق بكيانهم ومن ثم كانت سياستهم تدور على هذا المحور الاقتصادى، فكانت بذلك مسألة حياة أو موت ...

أما أهل الشمال فلم تكن بهم حاجة إلى الزنوج ، وما كانوا يستخدمون عندهم فى أغلب الأحيان إلا خداماً فى المنازل ؛ وأملت عليهم ثقافتهم فلسفة إنسانية فكرهوا نظام العبيد واشمأزت منه نفوسهم ودارت سياستهم أول الأمر على هذا المحور الانسانى فكانت بذلك فى نشأتها مسألة عاطفية

على أنه كان للمسألة وجه آخر فقد اعتبر عدد العبيد من عدد سكان الولايات عند تقدير عددها للتمثيل النيابى فى المجلس التشريعى الأدنى كما نص الدستور ، وعلى ذلك فقد أشفق أهل الشمال من تزايد عدد العبيد فى الولايات، الأمر الذى يهدد نفوذهم

وتطورت بعد ذلك مسألة العبيد على النحو الذى أسلفناه ، فتزايدت كراهية الكثيرين من الشماليين لذلك النظام حتى تحولت إلى مقت ، وظهر من بينهم دعاة إلى التحرير ؛ وما زال يعظم خطر تلك المسألة حتى باتت كبرى المسائل

وولد الحزب الجمهورى فكانت مبادئه وسطاً بين مبدأ الجامدين ومبدأ أنصار التحرير ، فهو يرى ألا تزداد ولايات العبيد حتى ينقرض ذلك النظام على مر الأيام . ولقد كان إبراهام من زعماء ذلك الحزب الوليد ، وهو وإن كان من أشد الناس سخطاً على نظام العبيد إلا أنه آثر الحكمة خوفاً على بنيان الاتحاد ؛ فبقاء الاتحاد كان عنده فى المحل الأول من اهتمامه

ولكن مسألة الاتحاد ومسألة العبيد ما لبثتا أن تداخلتا حتى أصبحتا فى الواقع مسألة واحدة ؛ فلقد فكر أهل الجنوب فى الانسحاب من الاتحاد حينما اختير إبراهام للرياسة وحينما أيقنوا أن الحوادث مفضية إلى القضاء على العبودية ، وما كانوا يريدون من الانسحاب إلا أن يزيدوا عدد العبيد كما يشاءون ...

وأنكر إبراهام عليهم حقهم فى الانسحاب ؛ فهو لن يبخل بشىء فى سبيل المحافظة على الوحدة ؛ ولكنهم مضوا فى سبيلهم لا يلوون على شىء ولا يستمعون إلى رأى ؛ حتى نفذوا ما اعتزموه ثم عولوا على أن يحموا أنفسهم بالقوة إذا أدت الحوادث إلى ذلك

وكان جفرسون زعيمهم يقرر حق الولايات فى الانسحاب متى أرادت ، بينما كان لنكولن يقول : إن مثل الولاية من الاتحاد كمثل قسم من الولاية من هيكلها ، فاذا جاز لهذا القسم أن ينفصل عن جسم الولاية ، جاز للولاية أن تنفصل عن الاتحاد

وجاءت بعد ذلك مسألة حصن سمتر فكانت بمثابة الشرارة التي أوقدت نار الحرب ... ولقد عدت تلك الحرب من المآسي البشرية ، ذلك لأنها كانت الفريقين كثيراً من الأموال والأنفس ؛ فلقد استحرّت جذوتها لأن الفريقين كانا كلاهما يري الحق في جانبها ... وكانت الدماء التي تجري دماء شعب واحد فكل قاتل ومقتول إنما هما صورة جديدة لقابيل وأخيه هابيل

وقفت أمة واحدة شطرين تقتتلان ؛ فهنا الوحدة والحرية ، وهنالك الفرقة والعبودية ، وهنا وهنالك الكثير من مواقف الحماسة والتضحية ، ينبع في حميّتها وضجيجها صوت الحق ويتبدد دعاء الانسانية ...

وكانت أولى المعارك الكبيرة معركة نشبت في فرجينيا بعد ثلاثة أشهر من سقوط سمتر عرفت باسم بول رن ... وبيان خبرها أن جنود الاتحاد التقوا بجموع الثائرين ، وكانت الحماسة والاستبسال هي كل ما لدى هؤلاء المتطوعين من عدة ، وكان لأهل الجنوب وإن كان معظمهم من المتطوعين أيضاً ، قواد مدربون كانوا قبل في الجيش النظامي للبلاد وتسللوا منه إلى الجنوب حين تفرقت الكلمة ؛

وتبين أول الأمر أن النصر في جانب الشماليين ، ولكن ما لبث موجتهم أن انحسرت ، ثم ولوا بعدها هاربين على صورة منكرة ، تبعث على الرثاء حتى لقد قيل إن بعض الفارين لم يقفوا عن العدو حتى دخلوا منازلهم في وشنجطن

ودخلت فلول المنهزمين المدينة في حال شديدة من الذعر والهلع وطافت بالناس الشائعات أن المدينة واقعة في أيدي الجنوبيين، فألقى الرعب في قلوب السكان وبخاصة حينما وقعت أعينهم على أكثر من ألف من الجرحى ؛ وحينما علموا أنه قد قتل في هذا اللقاء الأول أربعمائة وخمسون ...

ولو أن أهل الجنوب تقدموا غداة انتصارهم لأخذوا المدينة ما في ذلك شك ، ولكنهم نكصوا ورضوا من الغنيمة بفرار خصومهم على هذا النحو ، وحسبوا أنهم بعد ذلك أحرار فيما يفعلون فلا خوف عليهم من أهل الشمال ؛ ثم إنهم منذ خيل إليهم أن عدد أعدائهم يبلغ خمسين ألفاً أو يزيدون مع أنهم لم يتجاوزوا ثمانية عشر ألفاً

وكثيراً ما يكون التاريخ في تطوره رهيناً بحادث بسيط ، ومن أروع الأمثلة على ذلك وقوف أهل الجنوب عن الزحف على وشنجطون ؛ ولو أنهم فعلوا لكان للولايات المتحدة وجود غير هذا الوجود وتاريخ غير هذا التاريخ

وكذلك كان يتغير وجه التاريخ لو أن القنوط يومئذ تمكن من نفوس الناس ؛ ولولا أن كان على رأسهم ابراهام لذهبت ريحهم وخارت عزائمهم وتفرقت كلمتهم . فلقد صمد ذلك الصنديد للنبأ شأنه في كل ما مر به من الحادثات ، ولئن ابتأس للهزيمة وتحسر على الفشل في أول لقاء علق عليه الكثير من آماله ، لقد صبر وصمم ألا يني عن الجهاد مهما يبلغ من هول الجهاد ...

وسرعان ما سرت روح ابن الغابة في الناس ، فعادت إليهم ثقتهم بأنفسهم ، وازدادوا حماسة على حماسة حتى ما يقر لهم قرار بعد اليوم حتى يغسلوا عن أنفسهم هذه الاهانة الجديدة وينصرون حقهم على باطل أعدائهم

ولقد استطاعت قوة الشماليين البحرية بعد ذلك أن تستولي على حصنين على الساحل في موانئ أهل الجنوب ، كما استطاع القائد ماكيلان أن يفصل بقوته البرية الجزء الغربي من فرجينيا عن جزئها الشرقي ويضمه إلى الاتحاد ، وكان أكثر أهله ممن يرفضون الانسحاب فكان ذلك رداً على الهزيمة في معركة بول رن

وكان لنكولن قد دعا المؤتمر ليشاور ممثلي الأمة في الأمر ويطلعهم على الموقف من جميع نواحيه ، ولقد بعث لنكولن إلى المؤتمر برسالة كانت من خير ما كتب من الرسائل ، تناول فيها كل ما يهم الناس يومئذ معرفته

بدأ لنكولن يسرد الحوادث حتى انتهى إلى موقف أهل الجنوب فذكر أنهم وضعوا البلاد بين أمرين فإما الحرب وإما تفكك الاتحاد ... ثم قال إن الأمر لا يقف عند هذه الولايات المتحدة ، بل إنه ليتعداها إلى مبدأ عام هو مبلغ نجاح الحكومات الديمقراطية القائمة على إرادة الشعب

ولقد كان لنكولن جد موفق في إشارته هذه إلى ذلك المبدأ العام ، كما كان يصدر في ذلك عن طبع، فهو من أنصار الحرية ومن كبار العاملين على سيادة الشعب

وتكلم الرئيس عن الولايات الوسطى التي تظاهرت بالحياد فقال : « إنها تقيم سداً لا يجوز اختراقه على الحد الفاصل بيننا، ومع ذلك فليس هو بالسد الذي لا يخترق فإنها تحت ستار الحياد تغل أيدي رجال الاتحاد بينما هي تبيح الطريق في غير تحرج

للامداد توسل من بينهم إلى الثوار ، الأمر الذي ما كانت تستطيع فعله أمام عدو صريح »

ورد الرئيس على دعوى جفرسون دافيز زعيم الولايات الجنوبية الذي يقول إن مبدأ انسحاب الولايات حق يبيح القانون الحرب من أجله . ولقد اعتبر الرئيس هذه الدعوى من لغو الكلام قال : « إن الستار الذى يستترون وراءه وهو أن ذلك الحق المزعوم لا يستعمل إلا مع وجود مبرر عادل ، بلغ من الرقة حداً لا يستحق معه أية ملاحظة، وهم سيكونون الحكم فى عدالة ذلك المبرر أو عدم عدالته »

وكان رد الرئيس على جفرسون من الخطوات التى ارتاح لها أهل الشمال فلقد أشفقوا أن تجد مزاعم جفرسون سبيلها إلى قلوب الأغرار والأغفال

ثم أهاب الرئيس بالمؤتمر أن يمده بالمال والرجال فهو فى حاجة إلى أربعمائة مليون من الدولارات . وأربعمائة ألف من الرجال ؛ وسرعان ما أجابه المؤتمر إلى ما طلب فى حماسة جملته تزيد العدد فى المال والرجال عما حدده الرئيس ...

وأيقن الناس فى طول البلاد وعرضها ، وقد رأوا من صلابة الرئيس وعزمه ما رأوا ، أن الحرب سيطول أمدها ، فتألفت فى البلاد كلها جماعات للنجدة حتى لكأنما نسى الناس أموالهم الخاصة فليس ما يشغل أذهانهم ويستدعى جهدهم ونشاطهم إلا هذه الحرب

ولقد تغلغلت تلك الروح فى جميع الطبقات: الكوخ والقصر فى ذلك سواء، والقرية الحقيرة لا تفترق فيه عن المدينة العظيمة ، وأصبح النشيد الذى يتردد على كل لسان ذلك الذى جمل مطلعه « نحن قادمون إليك يا أبانا ابراهام ستة آلاف من الأشداء ... نحن قادمون ... »

والرئيس لايعرف الراحة ولايذوق طعمها . يصل إلى مكتبه فى الصباح الباكر قبل أن يطرق البيت الأبيض أحد ، ويظل هناك حتى يهبط الليل فيقضى طرفاً منه بين أوراقه ... وامرأته تضيق بذلك وتعلن إليه غضبها ، ولكنه فى شغل عنها بما هو فيه من عظيمات الأمور ، وأنى له فى مثل ذلك الموقف بلحظة من هدوء البال ...

(يتبع) الخفيف

إلى لجنة إنهاض اللغة العربية

الأخـــلاق

والأدب الوجدانى الرفيع

للأديب السيد ماجد الأتاسى

منذ أسابيع خلت ، عثرت فى بريد « الرسالة » الأدبى على كتاب أرسله الأستاذ أحمد أمين إلى صديقه الأستاذ الزيات جواباً عما سأل سائل لجنة إنهاض اللغة العربية عن إغفالها كتب أستاذنا الزيات فيما اصطنعت للطلاب من كتب أعلام الأدب وأمراء البيان

ولقد كنت أوثر ألا أكون بين من يتحدثون عن هذا الموضوع المصرى المحلى البحت ؛ وإن كنت أومن أن وادى الكنانة وسائر ربوع العروبة الزهراء وطن كل عربى الوجه واليد واللسان

ولكن ما جاء فى قرار أعضاء اللجنة وفى كتاب الأستاذ أمين من نعيهم جميعاً على « رفائيل وفرتر » أنهما كهما حرمات المثل الأخلاقية العليا ، وذهابهم إلى أن من الخير أن يمد هذان الكتابان الماليان عن أيدى الطلاب وأعينهم ، وما يفهم من حكمهم هذا من مذاهب فى العلاقة بين الأخلاق وهذا اللون من الأدب الوجدانى الرفيع ، كل هذا يغرينى بأن أكتب غيرة على الأدب ودفاعاً عن الحق

ولست آخذ اليوم نفسى بالدفاع عن الزيات ؛ فتحت أجنحة هذا النسر الجبار يستظل الألوف ممن هم أشد منى بأساً وأقوى مراساً ..ولن يضير الزيات أن تزل فى تقدير أدبه مقاييس الحكم أو تطيش فيه نزعات الهوى — إن كان هناك هوى — بل يفخر الزيات بأن يظلم مع « غوتة ولامرتين »

ولئن بغى على النبوغ « قوة السلطان وحكم الأثرة تشهد فيه بالزور وتحكم عليه بالباطل » فى الأجيال القادمة — حين لا أهواء ولامآرب — سيكون للعبقرية الموتورة نصفة ، وللحق المبين رفعة

يقول الأستاذ أحمد أمين : « إن آلام فرتر موضوعه حب هائم ينتهى بانتحار فظيع ، وإن روفائيل رسائل غرام بين شاب

وامرأة متزوجة . ولم تر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب في أيدي الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا لناحيتها البلاغية؛ ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا، وهاج علينا أولياء أمور الطلاب بحق »

ويقول هذا العاجز — في هدوء وبعد تفكير وتقدير — : إن من الخير كل الخير أن توضع أمثال هذه الكتب في أيدي الطلبة لناحيتها الأخلاقية، ولو لم نفعل لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا الذين يفهمون من أولياء الطلبة بحق

ففي فرتر ورفائيل مثال من الفضيلة تحس كل نفس الميل إليه وتود لو بلغته أو دنت منه، وفيهما أسوة حسنة للناشئة يتمطون بهما في تثقيف عقولهم، وصقل عواطفهم، وارتفاعهم عن الغرائز الدنيا . ولو كنت أستاذاً أو أباً لأغريت تلاميذي وأبنائي بأن يعرفوهما ويحبوهما، ويكلفوا بهما، ويحاولوا أن يتدبروا معانيهما ويتفهموا مراميهما

يعيب الأستاذ أحمد أمين رفائيل لأنها رسائل غرام بين شاب وامرأة متزوجة قضت شرائع المجتمع أن تكون — قلبها وجسدها — لزوجها، ولزوجها وحده

ونحن من الحق علينا لنحكم لهذا الغرام أو عليه أن نتناول بالتحليل عوامله، ومثله، وآفاقه

هنالك في فندق من فنادق المصافوا عرف رفائيل جوليا، فكان بينهما تآلف وتعاطف، وإن امتدت بينهما أسباب هذه الصلات التي فصلت آياتها في القصة

تعارفا . فأما رفائيل فتعلق بها، وأما هي فعطفت عليه ورقت له، ولمحت فيه مواهب النبوغ والعبقرية تومض وميض الفتنة في الزهرة الأرجة في فتوة مشبوبة القلب، بعيدة الأفق، طاهرة الذيل، جذابة الطوابع، فأعجبت به، واطمأنت إليه واستعانت به على الوحدة، والمرض، وآلام النفس

من هنا كان بينهما هذا اللون المفقد من الصلات العاطفية : لا هو بالحب وحده، ولا هو بالصداقة وحدها، وإنما هو مزيج من هذا وذاك، فيه من الصداقة أكثر مما فيه من الحب، ومن الاعجاب فوق ما فيه من الرغبة

ولم تذهب هذه الصلات النقية بما لزوج جوليا في قلبها من مكان وحرمة . فلقد كانت تحفظ في أعماق نفسها وأحرج مواقفها العرفان الخالص لجميل هذا الزوج الذي يحبها، ويعطف عليها، ويأسى لها

لقد أخطأت في خطواتها الأولى، ولكن أي زهر فوّح هذا الذي كان يتفتق على آثار الخطوات التالية ؟

وأي حب كان حب رفائيل ؟ إنه تذوق الذوق الفني الجميل للجمال الفني يتجلى — في أروع آياته وروائعه — في قطعة فنية تسمى « المرأة » ... إنه تسبيحة القارب الحالمة الموهوبة ترتفع في هدوء الليل . وابتسام الصبح صلاة حارة ظامئة في الايمان بالحياة، والشعور بخفقاتها

أحب امرأة ممتنعة عليه، وقد هدها السل، فذوت زهرتها ونضب معينها، وتقطعت أسباب رجائها، فهي تنتظر مع الليل هذا الطارق المخيف الذي يروح ويغدو على بابها ...

الجمال المريض، والأنوثة الوديعة، والشعور الجريح، والقلب الذكي، والأفق البعيد، كل هذا حببها إليه، وأخذ عليه هواه. ولقد دلّهه إذ دلّهه جاذبية هذا الذبول الذي يبعث فينا العطف والحنان فوق الافتتان حين يمتد إلى زنبقة من زنابق الربيع فاذا الحر يلفحها، وإذا هي تذوى هشيما وقد كانت من قبل ملء العين نورا وملء الجو عطراً، وإذا هي في ذبولها أشد ما تكون فتنة وسحراً

ألا فليحلّل الأستاذ أحمد أمين هذه القبلات اللّهبة التي لم يكن ليطبعها رفائيل إلا على يدي جوليا، وعلى يديها فحسب

أفلا يجد أن فيها — على أنها ذوب القلب، وعصارة الروح — من الاعجاب أكثر مما فيها من الحب، ومن التحفظ فوق ما فيها من الرغبة، ومن معاني الكبت للنزعات اللحة ما يعد مثلا أعلى يضرب في الأخلاق لأبناء الأرض ؟ إنها انتصار الخلق في شفتين ألهبهما الغرام، وأرمضهما الظمأ والسغب .. ليحلل الأستاذ هذه القبلات ؛ وليذكر أن هذا الحب — على عنفه — لم يجر إلى معصيته، وأن هذا الحب — على فتوته — عف ولم يسف .

وأما فرتر . . .

يأخذ الأستاذ أحمد أمين على فرتر أنها تنتهي بانتحار فظيع . ذلك هو — عنده — موضع الضعف في القصة لناحيتها الأخلاقية. وإني لأربأ بفهم الأستاذ وعلمه أن يجد في موضع القوة ضعفاً وفي محاسن القصة شر المساوئ

لقد هام فرتر هياماً عنيفاً، ولا نزاع في أن هذا الهيام خطر شديد الخطر — بالقياس إلى الكثيرين من الشباب العاديين في نفوسهم وأعصابهم وعقليتهم — فهو إذن إسراف وخطيئة على رغم طهره وصدقه . إذن على هذا النحو يكون الانتحار ثمرة

الخطيئة ؛ وإذن تكون الخطيئة في القصة قد عوقبت

وهذا هو يا أستاذي كل ما يريده الأخلاقيون

هنـاك من يقول : إن القصة تحمل الشباب على الانتحار وترغبهم فيه . ودليلهم على ذلك أن عدداً وافراً من الشباب انتحروا في الغرب عند قراءته

والواقع أن الذنب ذنب العصر والمكان ، وبرهاني على هذا أنه لم نر الآن في الشرق والغرب من انتحر من الشباب بعد قراءة فرتر ، ولقد ترجم إلى العربية كما يقول الزيات منذ ثمانية عشر عاماً وأعيد طبعه سبع مرات ، وقرأه كل مثقف في بلاد العروبة ، ولم نسمع أن حادثة من حوادث الانتحار قد وقعت بسببه

وها هو ذا اليوم « يقرأ ويدرس ويمثل في الملاعب ويغنى في دور الموسيقى دون أن يحـدث من سوء الأثر وقبح العاقبة ما أحدثه في ذلك العصر يوم ظهوره »

يقول الدكتور طه حسين : « لقد أساء بعض الشبان ذوى النفوس المريضة فهمه والاستفادة منه ، لأن ظروف الحيـاة الاجتماعية كانت من الشدة والضيق في أوربا بحيث تجعل نفوس كثير من الناس ضعيفة رخوة ، وخانعة مستسلمة ، لا تستطيع مقاومة ولا احتمالا . وأما اليوم فالظروف الاجتماعية التي ملأت نفوس الأوربيين سأماً ومللا في أوائل القرن التاسع عشر قد انقضت واستحالت وأصبح الناس وقد ملاهم الأمل ، وملكتهم الرغبة في الحياة وما فيها من لذة ونعيم ، لهذا لم يبق من هـذا الكتاب إلا أثره النافع ، وهو عظيم جليل الخطر »

ولنفرض أن في رفائيل وفرتر بعض ما لا يرضى بعض الناس ، فهل من الأصوب في هذه الحال أن نبعدها عن أيدي الناشئة أم نقربهما ؟ إن الأستاذ أحمد أمين — كما يفهم من قوله — يرى أن خير سبيل إلى حفظ الناشئة من الرذيلة أن يخفى عنهم خطيئات الآخرين ، وأن نلقى في روعهم أن ليس في هـذا العالم خطايا ولا مخطئون

ليسمح لي الأستاذ أن أقول له إنه ليس هناك أخطر على الشباب من هذا الأسلوب من أساليب التربية

إن الطبيعة هي التي تلقننا أبجدية الخطيئة تلقينا ، والطلاب أخذوا عن الطبيعة تلك الدروس ، درساً درساً ، بل فقرة فقرة ؛ وهم تدبروها وتفهموها فامتلأت بها نفوسهم ، وصبت إليها قلوبهم ، وكانوا بها كافاً لا قبل لهم برده . فما الذنب ذنب غوته ولامارتين وغيرهما من أعلام الفن الوجداني الرفيع ، وإنما هو ذنب الطبيعة نفسها

فاذا كنت تريد لناشئنا فضيلة وتقوى فأطلعهم على خطيئات لامرتين . افتح لهم أبواب الحياة الواقعية ، ولا تخش عليهم بعد هذا بأساً ولا عثاراً ؛ فالطبيعة التي أوجدت الخطيئة ، جعلت لكل خطيئة في الحياة الواقعية قصاصها ، وخلطتها بالعفن والنتن فهي مكروهة حتى من الملوثين بها ! وهذا وحده كاف لأن يعرفوا الشر ويتجنبوه. قيل لعمر رضي الله عنه ما معناه : « يا أمير المؤمنين ، إن هذا الرجل يقوم ليله ، ويتعبد نهاره ، ويتقي الله حق تقاته . حتى لكأنه لا يدرى ما هو الشر ولا كيف يكون ! . . » فابتسم العبقرى العليم بحقائق الحياة ، وطبائع النفوس وقال : « إذن هو أحرى أن يقع في الشر لأنه لا يعرفه ! »

ورحم الله شاعرنا أبا فراس فقد قال :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيـه
فمن لا يعرف الشر من الناس يقع فيـه

فالخير كل الخير يا أستاذ أن نأخذ بأيدي شبابك لتريهم — تحت رقابة ذكية فطنة — بؤر الخطايا حيث ينتشر النتن ، ويعتد العفن بهورجها الزائف ، وتهاويلها المغرية ، وسيتعلمون — على الأقل — كيف يتقون الأشواك حين يمدون يدهم لقطف ورودها .

والمناعة ضد الخطيئة ، هي في اطلاعهم على عواقبها وعقابها ، كما أن المناعة ضد البرد لا تكون في التدفئة — بل إن التدفئة تهيئ للاصابة به — وإنما هي في التعود على التعرض له

أليس من الخير أن يعلموا كيف يرتفع الشباب عن السفاسف والميول الأرضية ، وكيف يطهر نفساً وينبـل قلباً

أليس من الخير أن نحمل إليهم بأيدينا هذه الكتب الفنية الرفيعة بدل أن تدفعهم وساوس الشيطان إلى ملء ساعات فراغهم ودرسهم بقراءة المجلات الساقطة والروايات الخليعة التي تتملق الذوق العام ، فتوغر الميول ، وتثير الأهواء ، وتوجهها إلى سبيل محفوف بالمكاره والأخطار ؟

إن فى رفائيل وفرتر وغيرها من كتب الأدب العاطفى الرقيق الرفيع ترفيهاً عن نفوسهم وتنفيساً لها ؛ ولهم فيها — فوق هذا وذاك — مثل فى الأخلاق تحس كل نفس الاعجاب بها ، وهم يجدون فى هذا الترفيه وهذا التنفيس متعة القلب وراحة النفس

يقولون إن الانتحار فى الأمم الكاثوليكية هو أقل منه فى الأمم الأخرى . وتعليل هذه الظاهرة عند علماء النفس والاجتماع أن فى اعتراف الآثم لكاهنه ، ترفيهاً عن نفسه ، وتنفيساً عنها . وهذا الاعتراف هو أشبه شىء بمفتاح البخار يفتحه سائق القطار إذا ثقل تكاثف البخار ليخفف الضغط ، ورفائيل وفرتر وغيرهما اعتراف نابغين إلى القارئ ، وقراءتهما هى اعتراف القارئ إلى نابغين ملهمين

أذكر أنى قرأت رفائيل فى الخامسة عشرة ، وفى السادسة عشرة قرأت فرتر

وإنها لسانحة سعيدة تسنح لى الآن . أعترف فيها بكثير من الغبطة ورضى الضمير ، أنى مدين بفضيلتى -- إن كان فى فضيلة وتقوى — إلى غوته ولامارتين والزيات . نعم يا أستاذ أحمد أمين إلى غوته ولامارتين والزيات . وأعترف فوق هذا أنها كانت ساعة من ساعات حياتى المشهودة المذكورة لما خطرها فى حسن توجيه ميولى ونظرى وفكرى ، تلك التى عثرت فيها — فى هذه السن الخطرة — على رفائيل وفرتر

« حمص ، سوريا » ماجد الأتاسى

قسطاكي الحمصي

أسلوبه في الكتابة النثرية

للأستاذ أسعد الكوراني

ليس الكلام في أدب الأستاذ قسطاكي بك الحمصي بالأمر السهل ولا هو بالمطلب اليسير ، فالخطباء كثيرون والوقت محدود وأدب المحتفى به، أطال الله بقاءه، متشعب النواحي فليس في طوق خطيب أن يلم به في دقائق معدودة . لذلك سأقصر كلامي على أسلوب الأستاذ في الكتابة النثرية .

يقولون إن أسلوب الرجل صورة عن نفسه . وليس أصدق من هذا القول في التعبير عن الأدب الصحيح . فالأدب مظهر لما تختلج به النفس وتشعر به وتدركه عن طريق العاطفة والعقل . والأديب يؤدي رسالته وقد أذاب مارآه وأحس به في بوتقة نفسه، فلا بد من أن يجيء أسلوبه قطعة من ذاته .

كل من قرأ للأستاذ قسطاكي بك الحمصي ماخطه يراعه منذ ستين عاما إلى هذا اليوم يرى في كتابته النثرية قوة في اللغة وصحة بالغة في التركيب والتعبير . وهذه صفات تكفي وحدها لتخليد صاحبها ، وقل أن اجتمعت في فجر نهضتنا الأدبية الحديثة إلا لأفراد معدودين. ولكنه يجد إلى جانب هذه الصفات صفة أخرى ينفرد بها الأستاذ بين أقرانه ، ويندر من يشابهه فيها من أترابه وأنداده ، وهي التأنق في الأسلوب. فكأني بالأستاذ لا يرضى من قلمه أن يأتيه بالناصع المشرق من صحيح الكلام وبليغه، بل يريد إلى جانب ذلك أن يكون بيانه عنوانا للروعة والجمال . فهو كالنحات الماهر يستخرج من الصخر الجامد ما يهز الشعور بحسنه وجماله .

ولقد قرأت ما كتبه الأستاذ في شبابه وكهولته وشيخوخته فما شذ أسلوبه عن هذه الصفة في أي دور من أدوار حياته .

نعم قد يختلف أسلوبه قوة وجمالا في بعض ما كتب عن بعض؛ ولكن طبيعة التأنق كانت بادية على كل آثاره .

ولقد تشرفت يوما بزيارته ومعي صديقي الأديب جورج اسطنبولية فسمعت من حديثه العذب الفياض، ورأيت من ملبسه وهندامه، وشاهدت في حجرته وعلى منضدته من الأثاث والكتب ما زادني يقيناً بأن أسلوب الأستاذ كبيانه صورة صادقة لسلامة الذوق وروائع الفن .

وبعد لا أطيل عليكم إذا تلوت على مسامعكم قطعة من بيانه لم أخترها اختياراً بل اطلعت عليها اتفاقا عند ما فتحت كتابه الذي وضعه عن (أدباء حلب ذوي الأثر في القرن التاسع عشر) وهي من محاضرة له في وصف قصور الخليفة المأمون وهذه هي :

« وكان يشرف عليها الراكب في دجلة من بعد شاسع ، ولا سيما قبابها ، فمن مجصص بالجص الأبيض الناصع كالفضة البارقة ، ومن مطلي نصفه السفلي بالأخضر الناضر والنصف العلوي بالذهب النضار ، وفوقها جامات الذهب تتلامع كالشهب المتقدة ، ثم تبدو للعيون تلك الحدائق الممتدة إلى أقصى مدى البصر ، تتسرب فيها جداول الماء من برك عظيمة الاتساع مختلفة الأوضاع ، ينصب فيها الماء كالفضة الذائبة من أفواه حيتان أو سباع أو ثيران أو نسور ، من مرمر مختلف الألوان بالغ من الصناعة نهاية الاتقان بين جنات قد ازدحمت غياضها واشتبكت أشجارها وتعانقت أغصانها وامتد ظلالها ، يسير فيها الداخل تحت أقبية وأطواق من فسيفساء الأوراق ، في مماش كأنما أرضها تماثيل سندسية ، وعلى جانبيها درابزينات لا يدرك الطرف منتهاها ، قد اعترش عليها الياسمين، وتعلق بها الورد والنسرين »

فهذه قطعة كتبها الأستاذ منذ عهد بعيد ، وهي مشرقة الديباجة ناصعة البيان صحيحة اللغة سليمة التركيب لا تقع كثيرا على أشباهها في متخير كلام العرب في الوصف الجميل .

غير أن هذه القطعة لا تمتاز بالكلام البليغ والأسلوب الصحيح فحسب، بل تمتاز أيضا بما فيها من التأنق والعمل الفني الخالص .

فما هي العوامل التي اجتمعت فأشرق منها هذا الأسلوب الوضاح؟

عندي لهذه العوامل أصلان : الوهبة والمحيط .

فالوهبة هي القدرة الطبيعية التي تتجلى في ذوي الكفايات الممتازة .

والمحيط هو الوسط الذي يعيش فيه الانسان فيتأثر به .

« نص الخطاب الذي ألقاه الأستاذ المحامي في الحفلة التي أقيمت بحلب في سبتمبر تكريما للأستاذ قسطاكي بك الحمصي »

والموهبة لا تثمر ثمرها إذا لم تتعهدها يد التهذيب بالاصلاح. وهى تتكيف بالمحيط ومؤثراته.

ولا خلاف فى أن العلامة الحمصى من ذوى المواهب الممتازة النادرة؛ فما هو الوسط الذى عاش فيه فأخذ منه وانطبع بطابعه فصدر عنه هذا الأسلوب المشرق؟

ينتسب الأستاذ إلى أسرتين عريقتين فى الوجاهة والحسب والنسب، فأبوه من آل الحمصى وأمه من آل الدلال. والأسرتان مشهورتان بالحياة الرفيعة والعيش الرغيد الوارف. وأسرة الدلال معروفة بالأدب، وقد ظهر منها نوابغ لا تزال آثارهم الأدبية ناطقة بفضلهم ومكانتهم. ولقد كان لأم الأستاذ وقوف على الأدب وخاصة على الشعر. فنشأ فى هذا المحيط العالى تتعهده أمه — بعد أن فقد أباه وهو فى الخامسة من عمره — بخير أنواع التربية والتهذيب.

ومن صفات الأسر العريقة فى الوجاهة المحافظة على التقاليد والعادات. فمن الطبيعى إذن أن تبدو مظاهر هذه الحياة العالية بنعيمها وأخلاقها وتقاليدها على أدب الأستاذ؛ وهذا فى اعتقادى هو السبب المهم فى اتسام أسلوبه بسمة التأنق وروعة البيان.

على أنه يجب ألا تفوتنا ونحن نتكلم عن نثر الأستاذ ظاهرة لها قيمتها فى تقدير مكانته الأدبية. وهى أننا لو أخذنا أية قطعة من نثره كتبها قبل أربعين أو خمسين عاماً، ولا سيما ما كان منها دائراً حول الموضوعات الاجتماعية والتاريخية، ثم قارناها بما يكتب اليوم بعد أن أثمرت النهضة الأدبية الحديثة ثمارها لما رأينا بينهما كبير فرق. فكأننا نقرأ بلغة اليوم ما كتبه الأستاذ قبل نصف قرن يوم، كانت أساليب الكتابة ترسف فى قيود الركاكة والتقليد والصناعة اللفظية.

واسمحوا لى — وإن أطلت الكلام قليلا — أن أتلو على مسامعكم أسطراً من مقال نشره الأستاذ بعنوان (أدلا التقادير وأرباب السعى والتدبير) فى الجزء الثالث عشر من مجلة البيان الصادر فى أول إيلول سنة ١٨٩٧ أى قبل إحدى وأربعين سنة وهذه هى:

« قد ألف بعض الناس الاتكال على التقادير أى على ما تولده الليالى من الحوادث التى لم تكن فى الحسبان. وخالفهم فى ذلك أقوام زعموا أن ذلك مدرجة إلى الكسل، وأنه مما يقف فى سبيل التقدم وبلوغ الكمالات الانسانية. ولكل من الفريقين حجج وبينات يؤيدون بها مدعاهم »

« قال الفريق الأول: لو لم تكن التقادير هى الحاكمة فى أنصبة البشر، اللاعبة بحظوظهم، الفاعلة فى تغيير أحوالهم وأخلاقهم، لبلغ كل امرئ ما يتمنى على قدر همته وسعيه، وكم من ساع وراء أمر يرومه والتقادير تعانده فلا يبلغ متمناه »

فهذا كلام لو قورن بأسلوب الكتابة فى هذه الأيام لما تخلف عنه فى كثير ولا قليل، بل ربما فاق أسلوب الكثير من مشهورى الكتاب بصحة اللغة وحسن السبك ومتانة التركيب.

وهذه الظاهرة من خير الشواهد على نبوغ الأستاذ، لأن النابغة يتخطى حدود زمانه ويدرك ما لا يدركه معاصروه إلا بعد أمد طويل.

هذه كلمتى فى أسلوب أستاذنا قسطاكى بك الحمصى فى الكتابة النثرية، وأنا أعلم ما فيها من عجز وقصور عن إدراك شأوه وبلوغ مداه، وإيفاء البحث حقه من الدرس والتمحيص، ولكن أنى لمثلى أن يسابق فى هذه الحلبة ويجرى فى هذا المضمار وقد اجتمع فيه عيون الأدب ومصاقع رجاله لتكريم إمام من أئمة البيان. غير أن لى من حسن ظنى شفيعاً لقصورى، فليتفضل الأستاذ بقبول هذه الكلمات منى هدية مقرونة بالاعجاب بأدبه والدعاء له بطول البقاء

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٥ —

قرأت ما كتبته الآنسة الفاضلة « أمينة شاكر فهمى » وظننته ردا على ، وهو فى الحقيقة تأييد لى . وسأثبت لها ذلك بعد أن آخذ عليها هـذا الاستفزاز الذى يحرك النفوس الجاهلة إلى الثورة على كل جـديد ولو كان نافعا ، ويجعلها تقف فى سبيل الاصلاح ولو كان حقا

تقول الآنسة الفاضلة : « لقد تتبعت بشغف واهتمام مقالات الأستاذ الفاضل « أزهرى » عن تيسير قواعد الاعراب إلى أن تم بحثه فى عملية التيسير والتغيير ، فدهشت جداً لما جاء فى مقاله الأخير من تطبيق ، وما كنت أظن أن موجة التبديل والتحوير تطغو يوما على اللغة وتمسخها بهذا الشكل الذى ينكره كل مخلص للعربية . نعم إننا نعيش في عصر السرعة التى وفدت إلينا من أمريكا ، ولـكن غريب أن تطغى السرعة على قواعد اللغة والاعراب فتختصره بهذه الصورة المدهشة التى يقدمها الأستاذ « أزهري » فى بحثه الأخير ، فقد اختصر وحـذف منه حتى كدت لا أتعرفه ، وخيل إلى أنى أقرأ لغة أجنبية . وغريب أن يتأثر الأزهريون بحياة السرعة الأجنبية فيستعملوها حتى فى اللغة وهم حماتها من كل اعتداء ! »

فـا هذا الاستفزاز من آنستنا الفاضلة وهى لم تنقض حرفا واحدا مما قلت ؟ بل إنهـا تشهد بأنى جئت بدراسات فى تيسير قواعـد الاعراب تكاد تكون قيمة لو لم أناقض نفسى بنفسى وأزد فى تعقيد الاعراب ، وكان من السهل عليها لو تأملت قليلا أن تدرك أنه لا تناقض فيما جئت به من ذلك ولا تعقيد

وستجد الآنسة الفاضلة فى عدد الرسالة الذي نشر فيه مقالها ردا قيما للأستاذ الجليل « ساطع الحصرى » على خلطها بين اللغة العربيـة وقواعد إعرابها ، وظنها أن فى الاعتداء على قواعد الاعراب اعتداء على اللغة نفسها ، فاللغة العربية شيء وقواعد اللغة العربية (الاعراب) شيء آخر، لأن اللغة بوجه عام تتكون تحت تأثير الحياة الاجتماعية .

أما قواعد اللغة فتتولد من البحوث التى يقوم بها العلماء ، وتتبدل بتبدل النظريات التى يضعونها ، فهى من الأمور الاجتهادية التى يجب أن تبقى خاضعة لحكم العقل والمنطق على الدوام ، ولا يجوز لنا أن نتقبلها بدون مناقشة وتفكير، بل يجب علينا أن نعيد النظر فيها ، ونطيل التفكير حولها ، لنكشف فيها مواطن الخطأ والصواب ، ونسعى فى إصلاحها وفقاً للطرق المنطقية المتبعة فى البحوث العلمية بوجه عام

ومن الواجب على الأزهر أن تكون هذه مهمته فى هـذا العصر ، وان يتأثر بهذه السرعة التى تقول الآنسة الفاضلة إنهـا وفدت الينا من أمريكا مع أنها من أصول ديننا ، ومن السنن الصالحة التى سنها أسلافنا ، وقد رأت الشفاء بنت عبد الله رضى الله عنها فتيانا يقصدون فى المشى ، ويتـكلمون رويدا ، فقالت : ماهذا ؟ قالوا : نساك . فقالت : كان والله عمر إذا تـكلم أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع ، وهو والله ناسك حقا

وما فعلت بما جئت به من مذاهب جديدة في الاعراب إلا أنى قضيت بها على ما فيه من حشو لاداعى اليه ، وهذا كما فى مسألة الاعراب والبناء ، فان تقسيم الـكلام إلى معرب ومبنى حشو فى النحو لايدعو إليه إلا ما ذهبوا إليه فى الاعراب من تأثره بالعوامل. ولو جعلنا العمل فى ذلك للمتـكلم لا لهذه العوامل لم يكن هناك فرق فيه بين ما سموه معربا وما سموه مبنيا ، ولأمـكننا أن نجعل كلمات العربية كلها معربة ، واستغنينا بذلك عن حشو كثير فى الـكلام على الاعراب والبناء ، وفى تطبيقات الاعراب التى نجريها فى الأمثلة والشواهد ، وليس في هذا أى اعتداء على اللغة العربية ، فقد ذهب الفراء إلى القول باعراب الحروف إعرابا محليا ، ومعنى هذا أنها تتأثر عنده بالعوامل كما يتأثر غيرها ، وهذا مذهب غريب جداً فى الاعراب ، ولم أصل فيما ذهبت اليه من إعراب الحروف إلي أنها تتأثر فى ذلك بالعوامل كما يتأثر غيرها ، فهل تعدى الفراء بذلك على اللغة العربية ؟ وهل اتهمه أحد بهذه التهمة التى تـكال جزافا فى عصرنا ؟ اللهم لا

وكذلك مسألة الاعراب المحلى والتقديري ، فانه لا يوجد هناك مايدعو إلى الفرق بينهما ، ولا ما يمنع من إدماج الاعراب المحلى في الاعراب التقديرى على النحو الذى ذكرته فى مقالاتى السابقة ، وقد ذهبوا إلي تقدير بعض الحركات من أجل حركة البناء في مثل « ياسيبويه » فلم أفعل إلا أن طردت ذلك فى هذا الباب كله ، وجعلت الاعراب المحلى إعرابا تقديريا ، لأن الفرق

بينهما من الحشو الذى لايصح وجوده فى هذا العلم ، بل لا يصح وجوده فى العلوم كلها

والحق أن كل ماذهبت إليه فى إصلاح الاعراب من القوة بحيث لايمكن معارضته ، ولولا تمنت هـذا العصر وجموده وجـموده لـكان له شأن عندنا غير هذا الشأن ، ولوجد من إنصاف العلماء مايؤثره على مذهب القدماء فى الاعراب . وإنه لايهمنا هذا الجحود والجمود، لأنا إنما نكتب فى الاصلاح إنما نرضى به أنفسنا قبل كل شىء ونقوم بما نعتقده واجبا علينا ، ولا يجنى هذا الجمود والجحود إلا على الأمة التى ترضى به ، ولا تحاول التخلص منه بعد أن صار بها إلى ما صارت إليه

وها هى ذى آنستنا الفاضلة تشهد بقيمة هذا الاصلاح الذى أتينا به ، ولكنها تقع بعد هـذا فى سهو ظاهر تنقص بهما هـذه الشهادة ، والذنب فى ذلك عليهـا لا علينا ، لأن ماظنته تناقضا فى كلامنا لا حقيقة له

فقد بنت هذا التناقض على أنا قلنا فى مقالنا الرابع إن الحرف لاحظ له من الاعراب أصلا ، ولورجعت الآنسة الفاضلة إلى هذا المقال لوجدت أن هذا ليس من قولنا ، وإنمـا هو من قول الجمهور فى الرد على الفراء ، إذ يذهب إلى إعراب الحروف إعرابا محليا ، ويتفق مذهبنا مع مذهبه فى ذلك إلى حد ما . ولسنا من الغفلة إلى حد أن نذهب فى أول مقال لنا إلى إعراب الحروف إعرابا ظاهرا، ثم نعود فنقول فى المقال الرابع إن الحروف لا حظ لها من الاعراب أصلا

وكذلك لم توفق آنستنا الفاضـلة حين أنكرت علينـا مخالفتنا فيما أتينا به من تطبيقات الاعراب المعروف فى مذهب الجمهور ، لأنه لا حرج علينا فى ذلك أصلا ، ونحن لم نأت بهذه التطبيقات إلا لنبين للناس مقدار هـذه المخالفة ، وليس من المعقول أن نخالف الجمهور فى قواعد الاعراب ثم نجري تطبيقاتنا على مذهبهم لا على مذهبنا

فلا تناقض إذن فى كلا[illegible] ولا شىء يمنع آنستنا الفا[illegible] من أن تجعل [illegible]ادتها لدراستنا خالصة مطلقة

(أزهرى)

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٨ — سائل

فى ميدان (المرجة) أكبر ميادين دمشق وأهمها ، وفى محطة (الترام) أظهر بقعة فى ذلك الميدان وأحفلها على ضيقها بالناس ، سائل طويل بائن الطول ، أعمى قبيح العمى ، يقوم حيال عمود الكهرباء وكأنما هو لطوله عمود ثان ، لا يريم مكانه ولا يتزحزح عنه ، ولا يفارقه لحظة من ليل أو نهار ، فهو أبداً يزحم الناس بمنكبه الضخم المريض ، وثوبه الدنس القذر ، ويؤذيهم بصوته الأجش الخشن ونغمته القبيحة المملة ، وكلماته التى لا تتبدل ولا تتغير : (من مال الله يا أهل الخير ، والله جوعان؛ الله لايجوعكم والله كاس العمى صعب ...) لا يكف لسانه عن ترديدها ، كما أن لسان صبيه الذى يحمله دائماً لا يكف عن البكاء والعويل ..

وكنت أمرّ بالميدان نهاراً ، وآتيه نصف الليل ، وأجئ تارة عند طلوع الشمس ، فأجد ذلك السائل قائماً فى الحالات كلها بجانب العمود ، وكفه مبسوطة كأنها طبق ... ولسانه ولسان صبيه عاكفان على السؤال والبكاء ، كأنما هما اسطوانة تدور دائماً وأبداً لا كلال ولا ملال ... فكنت أتألم منه حيناً وأنقم من الشرطة أنها لا تباليه ولا تحفل مكانه ، وأشفق عليه حيناً فأعطيه من بعض ما أجد حتى رآنى رفيق فلان ، فقال لى :

— ماذا ؟ أتعطى مثل هذا ؟

— قلت : ولم لا أعطيه وهو أعمى مسكين ، يسأل الليل والنهار لا يفتر ؟ فلو كان سؤاله تسبيحاً لكان من الملائكة ... ويقسم أبداً أنه جائع ، وولده على كتفه يبكى من الجوع ... أفاضنّ عليه بقرش واحد يقيم به صلبه ؟

فضحك رفيق وقال :

— لا هو بالجائع ، ولا الولد ولده ، وإنه لأغنى منى ومنك..

— قلت : هذا لا يكون

— قال : فتعال معى ...

ودنا من السائل ، فهمس فى أذنه ..

— يا أبا فلان ؟ ألا تؤجرنا دارك التى فى (الشاغور) ؟

وحي الشاعرة

ثورة الخيـــــال

(قصيدة اجتماعية مطوية لم تنشر إلا اليوم،
جلوة لعهد بعيد ، غير عتيد)

للأستاذ حسن القاياتي

أدات بي النجوى فأكثر تهارغما   وخفت بي الدعوى فأوسعتها عجما
بنفسي أبياً يلعب البرق خلبـاً   أيقتلني يأساً وقد مدني علما ؟
طويت على الشكوى جوانح لم يزل   يحزُّ الأسى فيهـا وتكتمه كتما
شجي النفس من ليل الشبيبة أليل   تألق هذا الشيب في جنحه نجما
أحيد بأنفاسي عن الليل رهبة   كأنيَ أخشى أن تحرِّقه فحما
بنفسي محيَّا الراح لو أن كأسها   أطاحت لنا همًّا فلم تولنا همّا
كريهٌ مذاق الموت في الكوب وحده   فما بال مفتونٍ تجرَّعَ واشما(١) ؟
يزهدني في مرشف الكأس أنها   أديرت فما جازت حصيفاً ولا فدما
بكم نالها المتلاف والكأس مغرم   ليشربها خمراً وقد باعها كرْما؟
كأن محيا الكأس أعيت بقاتك   فصبت على أخلاقه الأفن والوصما
هي الراح ذوب الحسن لا بل ظلاله   إذا حلّ في نادٍ فقد طلعت ثمّا

* * *

إلى كم تقاضى الصبيات مكانها   لديَّ وقد عفت المناغاة والرغما ؟
أبيٌّ لو ان الماء يسقي بوصمة   تبدلتُ منه خوفَ وصمته الظما
أصد وقد هم الجمـالُ ولو قني   أخي يوسفٌ صبري لصدٍّ فما هما
هوانًا لمن يهصرُ الحسن وردة   فهلا يشمون الحيـاة به شما ؟
رويداً بخد الورد شما وزينة   ورفقاً بورد الخـد تذبله لثما
فوا كبدي كم يمنع الحسن شركة   وماخص بالشجو القلوب كما عما؟
أكل بديع ليس يعدوه حاجب   يصـدُّ قناعاً أو يحيط به كما ؟
لثامٌ نهى شطر الجمال فصانه   فوا لهفتا للبـدر لو أنه تما ؟
جمال الغواني قاسمَ اللهَ خلقه   فصبَّ عليـه من تحجبه رغما
كأنك غضبي حين أبداك برقع   لقـد رقَّ يا أختي لخلاكِ إذ نما
بعينيك من ردِّ العيون فصاغها   قسياً ومن أصمى بنظرتها سهما ؟
جوانحنا من شبَّ فيهن جذوة   ومن سهدت فيه العيون ومن أدمى
دعونا نرفِّه عن حشانا بآهةٍ   تبلُّ الحشى برداً ويندى بها نسما
دموع الأسى تشفي وليست مبينة   تلهيك بالأطيار إذ هتفت عجما
بني مصر لولا أعينُ الغيد فتنة   لما مُلئت حسناً ولا مُلئت ظلما
يذمون من « بنت الهوى » طاعة الهوى   وهم نظموها في شـقيّاته نظما
شفاء الفتى من سكرة المال والصبا   ضمين به الاتلاف يلحقه العدما
لمن شرفٌ ريعت به كلُّ حرَّةٍ   فلم يبكه جانٍ رأى جرحه يدمى
ولدتم كهاتيك القلوب نوابضاً   تخافوا عليهن الجريـرة والاثما
لقد طُبعت طبع الحديدة فتيةٌ   تجافت فلا داء شفته ولا كلما
أجـداً بظن الشح ألا أبوةٌ   عليهم لمن ذاق الخصاصة واليتما
ألا مصنعٌ مجـدٍ ألا ملجأ ندٍ   يفيض لهم علماً ويندى لهم طعما
مدارسـنا لا النبل فيهن حلية   ولا العلم خصم الجهل يصرعه خصما
مدارس تجار إذا هي أربحت   خسرنا بها الآداب أجمع والعلما
لقد ساد زيغُ الرأي فليشك محسن   كبارَ المساعي يوم تكسبه ذمّا
كفى الناس تضليلاً بخدٍ مموَّهٍ   وبالنابه المكذوب بنوته ضخما
إذا وسموا بالعلم والفهم نابهاً   زهوهُ ولم يفتنك علماً ولا فهما
كأن بعيد الصيت يهتزُّ باسمه   تساقط حتى ما يروعك إلا اسما
كأني بسحّار النباهة كلما   تقلب في زعم أجـدُّوا له زعما
توحَّـدَ مغمورُ القوافي بيانهُ   تخط(١) الأغاني يبعث الطرب الجما
قل الزور يستاق الجماهر فتنةً   وربّ شيخها نبلاً ولم يدرها تما!!
صدى الناس من يحكي وكم فيهم صدًى   ولكنَّ جزْلَ الرأي من يحسن الحكما

* * *

سما النيلُ يستعدى على الجور قومه   فيارب سدِّده لأربعهم سهما
يمينًا لنا أزرى بمصر مفاوضٌ   رقيق كما ناغيتَ إحسان أو نعما

(١) إشارة إلى عادة الشم المعارفة

(١) خط الأغاني : لغة الموسيقى ، وهي النوتة

فتح الأعمى عينيه ... فنظر في وجهه . فلما عرفه قال :

— بلى ، ولكني لا أنزل بها عن عشرين ليرة ذهبية ...

— قال رفيق : ألم تؤجر الدار الأخرى بثماني عشرة ؟ فهذه مثلها ...

— فقال : هو ما قلت لك ...

وعاد يصيح بنغمته القبيحة المملة ، وصوته الأجش الخشن :
(من مال الله يا أهل الخير ، والله جوعان ، الله لا يجوعكم !
والله كاس العمى صعب ...) !!

علي الطنطاوي

لن يؤمن الشرق في الغرب بعدما … تداوله نهباً وفاز به قسما ؟
سواء على الشرق في الكأس شهدة … أم الموت فيها حين يلتذها طعما ؟
متى يحفل غرٌّ بالقوى وكأسه … تكسب لبَّ الغرِّ بل شعبه ضما
إن اعتزَّ باغٍ لم ترَ العدل عنده … سوى فتكة بالكون تدهمه دهما
كثير التمنى أطول القوم غرةً … وإن كثير البر أكثرهم حلما
كأنك إذ تفنى لياليك عاملا … ركضت لما تبقى صوافنك الدهما
بنى الشرق من قواده كل سادر … فهل أصبح البناء لا يحسن الهدما ؟
يقولون للخوان : تاب ومادحت … ممتقة إلا بما فتكت قدما
يظن فريق يسلم الحق أنه … بحيث يرى الغوغاء والحاشد الفخما
إذا ضل فرد أو بقى الفرد أمة … أدلت به نجلاً فقتلها أمَّا !!
يريدوننا فى موكب الفرد أمة … عزيز عليهم أن آنفنا أحمى
أرى الجور قتال الشعوب فما لهم … يريدونه شعباً ويرعونه بهما
أكل زعيم عندهم عزَّ مثله … كأن بأرض الشرق ويحهم عقما
إذا ما استقل الشعب ألقى غروبه … ومن هجر الأوثان أوسعها حطما
تعصب لا للدين بعض رواته … تعصب للأجلال أو طالب النعمى
لقد عبدت فى الشرق حيناً عمائم … لو أن «أبيساً» قد رآهن لاعتما
كأن الأيادى فوقها ثغر لاثمٍ … صحيفة زور كان توقيعها ختما
مضى كل واه ينحل الدين وهنه … بروح بلا سقم كأن به السقما

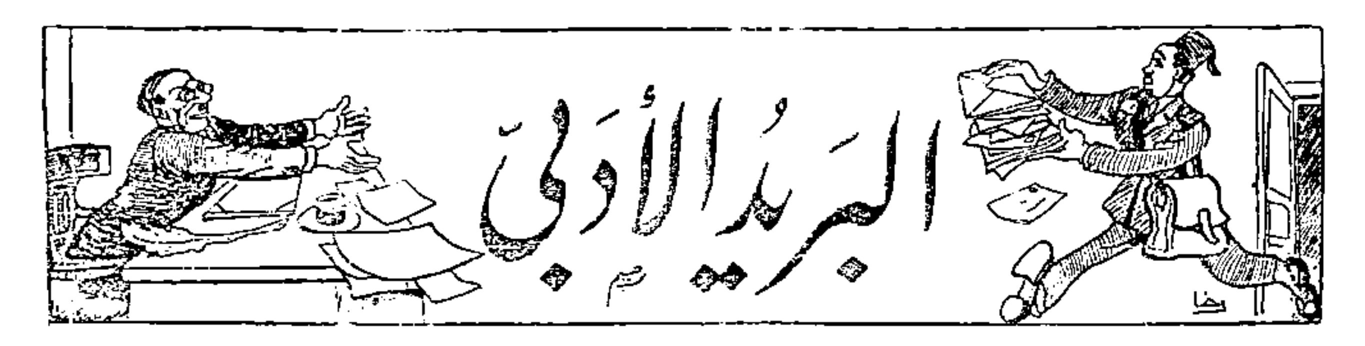
هو الدين إن شاؤوا يكن منك حكمه
فلاق وإن شاؤوا يكن رحبه سمَّا

فتاوى كزورات البغى مباحة … تزيد بها غرماً وتأخذها غنما
إذا كانت الأديان حرباً على الحجا … وخاصمها علم فأهون بها خصما
إلى الصيت يسمو كل من قيل ملحد … وما قتل الالحاد علماً ولا وهما
لأية جدوى يغمز الدين مارق … أباح فلا حلا يراعى ولا حرما
أقيما على الآداب والنبل مأتما … فقد ذهبا عيناً وقد محيا رسما
تنكرت الأخلاق حتى لقلما … صنعت جميلاً لا تجازى به شتما
تهدَّ إلى السوءات لا تدعه الهدى … وغض عن الخزاة لا تدعه الحلما
كفى بتبارينا إلى الشر ضيعة … وحسبك من تمزيق وحدتنا جرما
عذيرى من باك بأجفان عاهر … على أمة يسعى ليقسمها قسما
وفاق وأنى بالوفاق ودونه … حسائك صرعى بالتنابذ أو كلمى
تنصح أن يمضى ودعه فدهره … سيحسم بالأوطار خلفكما حسما
تنزه حب الدار عن صدر جارم … يضرمها حرباً وقد طبعت سلما
حموا كل حر أن يفدى شعبه … ألا كذبوا إن المواطف لا تمحى
هى الدار ليست للغريبين طعمة … ولكن لنهاض بحجتها شهما
يدسون المجدى وفى الدوح مثمر … نمد له فتل السواعد والرجما
ألا ليت من يجنى لأهليه سوأة … يبوء بها ذلا على الأنف أو رغما
نصيبك من حمد فان كنت زاهداً … فصبرك لا يذهب بصبرك من ذما

* * *

غرير لعمرى أيها النيل ناشئ … فلا تأمن الكيد السياسى واللؤما
إذا الشعب أعطى كل غرٍّ قياده … فقد حذر الفوضى بعاقل الحزما
بربك سائل مستقلا قيوده … مجررة هلا أطاق لها فصما ؟
سلا نائبينا عن سجين مصفد … ضعيف متى أهدى لنائبه عزما ؟
عقيد العلى ... ما أثرته … تفزع لا يرضى حراناً ولا هضما
كفى أننا للحر أن حقوقه … ترد له عدلاً فيأخذها غنما
سموك لا تحسب من الحلم ذلة … وأنت ملاق ما سموت له حتما
أحب حياة النشء كالنشء جدة … ولا يزدهينى محدث يشبه القدما
توثب هذا الشرق يبنى ديونه … فيارب جنبه الدسائس والشؤما

« السكرية : دار الفاياتي » — حسن القاياتي



القصص في الأدب العربي الحديث

قد سبق لي أن حدثت قراء « الرسالة » عن المستشرق الفرنسي (هنري بيريس) يوم وصفت كتابه « أسبانية في أعين الرحالين المسلمين ». واليوم أخرج هذا المستشرق المشتغل بالأدب العربي الحديث رسالة ضافية في القصص عندنا ، وقد نشرها في مجلة معهد الدراسات الشرقية لكلية الآداب في جامعة الجزائر (الجزء الثالث ، سنة ١٩٣٧ ص ١ — ص ٧٢)

وللرسالة مقدمة حسنة على قصرها عرض فيها المؤلف نشأة القصة في أدبنا الحديث وارتقاءها . فقال فيما قال : إن فن القصة انحدر إلى الشرق العربي من جانب الغرب وإن فارس الشدياق صاحب (الساق على الساق) كان أول من نبذ « المقامة » متأثراً بما وقع إليه من قصص الفرنسيين والانجليز . وهنا أشار المؤلف إلى ما صنعه اللبنانيون والسوريون النازحون إلى مصر في سبيل القصة أول أمرها ، فذكر سليم الشلفون وأديب اسحق وجرجي زيدان ، ولم يفته أن يذكر رفاعة الطهطاوي الذي نقل رواية (تلماك) من الفرنسية إلى العربية فطبعت في بيروت عشرين سنة بعد كتابتها . ثم انتقل إلى عهد المويلحي والمنفلوطي فتكلم على انعطاف القصة نحو الروح المصرية . ثم انتهى عند عهدنا هذا فنوه بخروج القصة من حيز الترجمة والنقل والتقليد إلى حيز الانشاء والابداع . ثم أخذ يعدد مجلاتنا الأدبية التي تنشر فيها القصص . ثم رتب أنواع القصص فذكر النوع الابتداعي والواقعي والطبيعي والرمزي والتاريخي والنفساني و « البوليسي »

ومما غاب عن المؤلف فيما أظن أنه أغفل تراثنا القصصي فلم يحاول أن يرد إليه بعض ما يجري في قصصنا (من ذلك « على هامش السيرة » لطه حسين و « شهرزاد » لتوفيق الحكيم فضلا عن روايات زيدان ومسرحيات شوقي) وأنه أهمل قصصنا الشعبي ففاته أن يتلمسه في طائفة من القصص (من ذلك أقاصيص لجبران خليل جبران وأخرى لميخائيل نعيمة و « يحكى أن » لطاهر لاشين)

ويلي المقدمة ثبت أسماء المؤلفين وعناوين القصص على طريقة علمية قوية . والثبت على أربعة أبواب :

الباب الأول : ما أُلف في الأدب العربي الحديث عامة ، في العربية واللغات الأفرنجية

الباب الثاني : ما أُلف في فن القصة ، في العربية واللغات الأفرنجية

الباب الثالث : القصص والأقاصيص المنقولة من اللغة الفرنسية إلى العربية

الباب الرابع : القصص والأقاصيص المؤلفة باللغة العربية في القرن التاسع عشر والعشرين

وجل ما يؤخذ على هذا الثبت الدقيق الجامع أن صاحبه لم يرتب الأسماء حسب حروف المعجم

هذا ولعل الأستاذ (هنري بيريس) يواصل عمله النفيس إذ في نيته أن يثبت المقدمات التي يصنعها القصصيون لقصصهم مع النظر فيها وأن يتعقب ألوان الكتب وأنواع التآليف التي سارت في الشرق العربي سنة ١٩٣٠

(باريس) بشر فارس

الحركة النسوية في ألمانيا

تعمد ألمانيا الهتلرية إلى توفير أسباب الحياة والراحة للألمان فكان من أثر ذلك حركتها ضد اليهود ، ثم نزعتها الأخيرة إلى إقحام مسائل الجنس في الوطنية ، وما تدعيه من تفوق الجنس الآري وتقدمه على بقية الأجناس الأخرى في نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية . ولما كانت مسألة العطلة من

أكبر المسائل التي تواجه الأمم الحديثة ، فقد رأت ألمانيا أن تأخذ في الاقلال — جهد الامكان — من النساء في الصناعات والأعمال التجارية حتى لا يكنّ مزاحمًا خطراً للرجال ، غير أن الواقع هو أن عددهن يزداد يوما بعد يوم في دائرة الأعمال ، وقد ذكرت ذلك جريدة سويسرية تسمى weltwoche فقالت « إن أهم ما عنيت به ألمانيا الحديثة في تربية نسائها تربية سياسية هو طبع الفتيات بروح الحركة الاشتراكية الوطنية ، وعدتها في ذلك الرياضة الذهنية والجسمية ، وتلك هي أسس جمعية البنات الألمانية Bund Deutscher Mädel وتقوم تربيتهن في هذه المؤسسة على أساسين ، أحدهما يجعل منها امرأة اشتراكية ، تعرف كيف تسوس أمور الدولة إن دعت الحال إلى ذلك ، والثاني يعدها لأن تكون أما قوية البنيان ، عبلة القوى ، لتنتج « الانسان الكامل » للوطن ؛ ويبدأ انخراط الفتيات في هذه الجمعية منذ بلوغهن السادسة عشرة من عمرهن ، فمن أظهرت مقدرة وكفاءة في تشرب مبادىء الجمعية منحت شارة فضية ، وهي دليل التفوق الفكري والسياسي ، ويعقد لهن كل أسبوع اجتماع ليلي يشرح لهن فيه تطور السياسة في الداخل والخارج ، ونصيب ألمانيا من ذلك كله . ولقد أعلن أخيرا « البلدوفون شيراخ » زعيم شباب الريخ وجوب اشتراك كل فتاة يتراوح سنها بين ١٧ ، ٢١ سنة في جماعة القوة والجمال » والغرض المنشود منه هو تربيتهن تربية جثمانية قوامها الرياضة والرقص ، وتعليمهن أصول الصحة ، وقصارى القول إن مرماه إيجاد جيل نسوي جديد ، قوي البنيان ، جميل المنظر ، معتد بنفسه واثق بها .

وفي خلال هذه المدة تتلقى الفتاة نوعاً من التعليم الاجباري في المعسكرات التي أوجدت ألمانيا منها أكثر من ستمائة معسكر في ثلاث عشرة بلدة ، تعيش فيها عيشة خشنة ، ويمارسن أشق الألعاب .

وعلى الرغم من أن ألمانيا النازية ترى أن مكان المرأة الأول هو البيت ، إلا أنهن ينافسن الرجال في كثير من الأعمال ، حتى لقد بلغ عددهن اليوم قرابة ٢٥ر٠٪ ؛ هذا فيما يختص بالفتيات الناشئات ؛ أما الأمهات وسيدات الجيل الماضي ، فقد أوجدت لهن ألمانيا « اتحاد النسوة Frauenschaft » وهو بجانب تحبيب النازية إليهن ، يقوم بتعليمهن الحياكة والحضانة وشؤون المنزل ورعاية الطفل

نور الدين وصلاح الدين في فلسطين

نشرت جريدة (النهار) في بيروت مقالة عنوانها (إلى الأستاذ إسعاف النشاشيبي) أشارت فيها إلى ما نشرته (الرسالة) في عنوان (من أمين الريحاني إلى محمد إسعاف النشاشيبي) وذكرت — مطنبة — تحية الأستاذ الريحاني ، وبكاء الأستاذ النشاشيبي واستنجاده بسيد المرسلين ، وبكت متأثرة معه ، ومما جاء في تلك المقالة : « إنني كل يوم أرى المجاهدين يخطون بدمائهم حطينا جديدة ، وكل ساعة أرى بينهم نور الدين ، وصلاح الدين وعماد الدين[1] »

الفلسفة الشرقية

قرأت في العدد ٢٧١ من مجلة « الرسالة » الغراء ذلك المقال القيم الذي كتبه حضرة الأديب السيد احمد صقر عن كتابنا « الفلسفة الشرقية » فسررت من قراءة هذا المقال سروراً عظيما ولكن ، لا لما قد يتبادر إلى ذهن القارىء للوهلة الأولى من أن مبعث هذا السرور هو ثناء مستفيض على الكتاب ومؤلفه وإنما مبعثه هو ماظهر لي من خلال المقال من أن كاتبه لم يكتبه إلا بعد أن طالع الكتاب في دقة وعمق

غير أن لنا بعد هذا ملاحظة وجيزة على ذلك المقال نحب أن نسجلها هنا وفقا للحقيقة العلمية في نصابها

قال كاتب المقال : إن ذهبت إلى أني كنت أول من أثبت بالأدلة القاطعة سذاجة « أرسطو » وأذنابه في دعواهم أن الفلسفة نشأت للمرة الأولى في إيونيا في القرن السادس قبل المسيح ، وأن أول فيلسوف في الدنيا هو تاليس الملطي ثم علق على هذا بقوله : « والحق أن هذا الاثبات قديم الميلاد وليس أدل على ذلك مما قال الدكتور عن « ديوجين لايرس » في كتابه « حياة الفلاسفة » وأن الشرق قد سبق الغرب في النظر العقلي ، وأنه كان أستاذه وملهمه ..

ويظهر أن حضرة الأديب خيل إليه أن بين العبارتين معارضة إذ تدل الأولى على أن مؤلف كتاب « الفلسفة الشرقية » هو الذي أثبت تأثر الفلسفة الأغريقية بالفلسفة الشرقية ، بينما تنص الثانية على أن « ديوجين لايرس » قد سبقه إلى هذا الاثبات . والحق في هذا الموضوع هو غير ذلك تماماً ، إذ أن « ديوجين

(١) الشهيد والد نور الدين

لا إرس » لم يزد في كتابه « حيـاة الفلاسفة » على أن حدثنا « حديثاً يثبت أن الشرق قد سبق الغرب إلى النظر العقلي وأنه كان أستاذه وملهمه كما هو النص حرفياً . أما نحن فقد أثبتنا هـذه الدعوى بالطريقة العلمية الحديثة وهى استعراض نظريات الأغريق ومذاهبهم وإبانة مواضع تأثرها بالفلسفة الشرقية بالأدلة الناصعة التي لم تكن قد وجدت بعد في عصر «ديوجين لا إرس» وفوق ذلك فقد أيدنا من نتائج البحث الحديث بطائفة من الأدلة العلمية التي تؤيد هذه الدعوى تأييداً قاطعاً، وذلك مثل اكتشافات الأساتذة المتمصرين « ماسبرو » و « لوريه » و « موريه » و « بريستيد » التي استغللتها في إثبات دعواي استغلالا لم يتح مثله لديوجين لا إرس ، ومثل نتيجة بحوث العلماء الطبيعيين الذين أوضحوا الفرق الطبيعي بين الجماجم الشرقية والجماجم الأغريقية ، وأتاحوا لنا الفرصة لاستنباط أن كثيراً من النظريات الأغريقية مبنية على أسس شرقية ، ومثل اكتشافاتي الخاصة التي وصلت إليها بعد الموازنة الدقيقة بين كل هذه الفلسفات ، إلى غير ذلك مما نستطيع أن نجزم في صراحة أن «ديوجين لا إرس» لم يوفق منه إلى شيء يذكر

وأحسب أن حـديث ديوجين لا إرس الذي يستنتج منه استنتاجا تأثر الفلسفة الاغريقية بالفلسفة الشرقية لا يساوي في نظر العلم إثباتنا هذه الدعوى بالحجج القاطعة التي لا تحتمل الجدل والتي لو وفق «ديوجين» إلى مثلها لما جرؤ « سانت — هلير » على جحود هـذه الفكرة بمثل ذلك التثبت الذي ورد في مقدمة ترجمته للكون والفساد

ولهـذا الفرق الذي يوجد بين طريقتنا في الاثبات وطريقة « ديوجين لا إرس » عبرنا في جانب طريقته بقولنا : « إنه حدثنا حديثا يثبت إلى آخره » وعبرنا في جانب طريقتنا بقولنا « إننا أثبتنا بالأدلة القاطعة إلى آخره » . ولا شك أن هذا كاف في وجود الفرق بين الطريقتين .

على أن « ديوجين لا إرس » كتب ما كتب في الغرب وقد ظل المتفيهقون في الشرق يدعون عكس ما قرره . أما بعد هذه البراهين التي أدلينا بهـا ، فلا يجادل في هذه الفكرة إلا مكابر أو جحود .

بهذه الاشارة الوجيزة يتبين أن ادعاءنا أننا أول من أثبت هـذه الفكرة لا يتنافى مع نصنا على أن « ديوجين لا إرس » حدثنا هذا الحديث منذ زمن بعيد .

وأخيراً أكرر تهنئتي للأديب صقر على روح النقد الحر الذي نحن في أشد الحاجة إليه في نهضتنا الحاضرة .

الدكتور محمد غلاب

الأمالي

قال الأديب الفقيه الأستاذ داود حمدان : ما مفرد الأمالي ؟ قلت : الاملاء . وقد رأيت أن أروى في (الرسالة) الغراء كلمة في أمالي السلف انساخ لملا كاتب چلبي وقولا للشيخ ابراهيم اليازجي في هذه اللفظة ومفردها ، فيه فائدة

قال الأول : « هو جمع الاملاء ، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بمـا فتح الله (سبحانه وتعالى) عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ، ويسمونه الاملاء[1] والأمالي ، وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها في علومهم فاندرست لذهاب العلم والعلماء ؛ وإلى الله المصير ، وعلماء الشافعية يسمون مثله التعليق » ثم ذكر في مصنفه (كشف الظنون) (٦٦) كتاباً مسمى بالأمالي ، منها : « أمالي ابن الحاجب في النحو وغيره ، أمالي ابن دريد في العربية لخصها السيوطي وسماها (قطف الوُرَيد) ، أمالي ابن الشجري ، أمالي أبي العلاء المعري ، أمالي أبي يوسف (صاحب أبي حنيفة) ، أمالي بديع الزمان[2] ، أمالي جار الله الزمخشري من كل فن ، أمالي الشافعي في الفقه ، أمالي القالي في اللغة ، أمالي الصفوة من أشعار العرب لأبي القاسم فضل بن محمد البصري ، أمالي نظام الملك (الوزير المعظم العالم) في الحديث ، أمالي الطالقة للسيوطي »

قال الثاني : « هناك ألفاظ لا ندري بم ننعتهـا ... وذلك كقول القائل : (آمالٍ فلكية) فجاء أول هذه الكلمة أشبه بوزن أفعال نحو آبال وآرام ، وآخرها أشبه بوزن فعال المنقوص

(١) من ذلك : إملاء الشافعي ، قال صاحب كشف الظنون : « هو في نحو أماليه حجما وقد يتوهم أن الاملاء هو الأمالي وليس كذلك » ومما سمى بالاملاء (املاء على مشكل الاحياء) لصاحبه الغزالي

(٢) هي المقامات



اعترافات فتى العصر

لألفريد دى موسيه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

درة من آداب الغرب جلاها ببيانه العربي الرائع الأستاذ فليكس فارس وقدمها بتمهيد بليغ قال فيه « ليقرأ فتيان عصرنا الحائرون هذه الاعترافات الخالدة التي كتبها دى موسيه بدماء قلبه عبراً لابد أن يجد فيها كل فتى صورة لحادث من حوادث حياته إن لم يجد فيها صوراً لمعظم حياته »

والأستاذ فليكس فارس شخصية عميقة الأثر في نهضة الشرق العربي ، فلا بدع إذا رأيناه يلبس الاعترافات ثوباً قشيباً طرزته يدفنان شاب بارع

لقد انتظرت هذا الكتاب منذ أعلن عن ظهوره ، ولو أنى قرأته في مجلة الرواية القصصية الراقية شقيقة الرسالة الأدبية العالية؛ غير أنى أردت أن تضم مكتبتى المتواضعة هذه التحفة الأدبية الرفيعة ، ولما تفضل وأهدانى إياه أقبلت عليه فالتهمته ، ولشد ما رغبت صادقاً لو طال حديث الاعترافات ليطول بذلك استمتاعى بتلك اللذة الساحرة التى لا يظفر بها المرء إلا في أمثال هذه الآثار الفنية ...

وللاعترافات ميزة كبيرة ترتفع بها إلى مصاف القصص الخالدة التى لم تنشأ لمجرد اللهو والتمتع بالجمال الفنى ، فإنها جمعت إلى روعة الفن فلسفة الحياة ونظرات في إصلاح المجتمع قلما تراها في سواها

ففي ترجمة هذه الاعترافات معنى يرمي إليه المترجم الفاضل، إذ لم يترجمها لمجرد أنها قصة يلهو بها القراء، بل نشرها بين الشبيبة كطبيب اجتماعى عرف مواطن الأدواء في بلاده ، وقد وجد أن شبيبة الشرق يراود فكرها وعواطفها الجحود بالايمان والعبث بالحب ، فلم يجد أروع من اعترافات فتى العصر يقدمها صرخة داوية تهيب بالشبيبة التى ترود مزالق الغواية والالحاد ...

وإن ما عجبت له حقاً هو التوافق الغريب بين أدواء عصر الفريدى دى موسيه وأدواء عصرنا الحاضر . ولقد كان الأستاذ فليكس فارس موفقاً كل التوفيق في اختيار هذه الاعترافات ليعالج أدواء الشرق بما تحتويه من صور صادقة لحياة الشبيبة فيه

ولقد اختتم الأستاذ فليكس تمهيده الموجز البليغ بآيتين لخص فيهما الاعترافات فقال :

إن من جحد إيمانه جحدته حياته

ومن اتخذ الحب ألعوبة طرده الحب من جناته

أما الترجمة فحسبك ما قاله فيها فقيد الأدب العربى مصطفى صادق الرافعى : «أما الاعترافات فهي جيدة جداً؛ ولو كان مؤلفها هو المترجم لما استطاع أكثر مما استطاع الشيخ فليكس فارس»

عطية محمد السيد

لجوارٍ وليالٍ ، وهذان الضبطان لا يجتمعان في صيغة عربية . وكأن الكاتب رأى هذه اللفظة في بعض الكتب لكنه لم يعلم ما هى ، فقد أولها لأنه وجد هجاءها يشبه هجاء آمال جمع أمل ، ورأى آخرها منوناً تنوين الكسر فحكاه فيها ، فجاءت على هذه الصورة المنكرة . وإنما هى الامالى جمع إملاء مصدر أملى ، وأصلها أماليّ بالتشديد بعد قلب همزتها ياء ، ثم حذفت إحدى الياءين جوازا كما هو القياس في مثلها من الجموع فصارت أمالى بتخفيف الياء ، وإذ ذاك عوملت معاملة جوارٍ ونحوه »

القارىء



بوادر الموسم السينمائي الجديد

لانغالى إذا قلنا إن الموسم الذى بتنا على أبوابه ، سيكون موسماً هائلاً تعرض فيه بضعة أفلام من ذات الطول الكامل تحوى كل خطى التقدم التى خطتها صناعة السينما فى مصر فى العام الماضى ، وحتى أفلام الدرجة الثانية أو الشركات الأقل استعداداً ، ستكون أقوى من أفلام العام الماضى بكثير

استوديو مصر

وفى مقدمة الشركات المصرية التى خطت بالأفلام المصرية خطوات كثيرة موفقة ، شركة مصر للتمثيل والسينما التى يتبعها (استوديو مصر) ، إذ يقدم لنا هذا الاستوديو ثلاثة أفلام كبرى فى هذا الموسم هى (لاشين) و (الدكتور) من اخراج الأستاذ نيازى مصطفى و (شىء من لاشىء) من اخراج الأستاذ بدرخان وهو الذى تقرر أن تبدأ به سينما ستوديو مصر (تريومف سابقا) برنامجها المصرى لهذا العام . وقد أعلن عنه فى الصحف والمجلات المتصلة بإدارة الاستوديو . . . ويقوم بتمثيل الدورين الأولين فى هذا الفلم المطرب المحبوب الأستاذ عبد الغنى السيد والمطربة

(نجمة فى فلم شىء من لا شىء نجاة على)

المبدعة الآنسة نجاة على كما اشترك فى تمثيله نفر من خيرة ممثلى المسرح المحترفين نذكرهم ونذكر شيئا عن الفلم عندما يتحدد موعد عرضه

شركة أفلام أحمد سالم

ومن الشركات القوية الجديدة شركة الأستاذ احمد سالم مدير استوديو مصر السابق ، وقد انتهت هذه الشركة من اخراج فلمها



منظر من فلم أجنحة الصحراء
ويرى فيه : راقية ابراهيم وأنور وجدى وروحية خالد ومحسن سرحان

الأول (أجنحة الصحراء) وهو ذو موضوع وحوادث حربية جوية ولم يسبق إخراج مثله فى مصر ، من حيث جودة التصوير وإتقان الديكور واختيار الأرتست وتقطيع السيناريو . وستقدم الشركة فى هذا الموسم كذلك أول فلم بوليسى يخرج فى مصر ، هذا علاوة على أعداد (جريدة سالم السينمائية) التى ظهر منها عددان حتى الآن ، أحدهما خاص برفع الستار عن تمثال سعد والآخر خاص برحلة حضرة صاحب الجلالة الملك فى الصحراء الغربية .

أخبار مسرحية وسينمائية

أفلام الثلاثي السينمائي

وتقدم لنا شركة «لوتس فلم» فلمين كبيرين في هذا الموسم أتم الثلاثي الفني أحدهما قبل سفره إلى تركيا ولبنان، وانتهى الزميل احمد جلال من كتابة السيناريو للفلم الثاني وقد أسماه (نساء بلا رجال) وقد شرعت الشركة في التقاط مناظره في استديو ناسيبيان. وأفلام هذه الشركة معروفة بموضوعاتها المبتكرة وسيناريوتها المحبوكة ونجومها اللامعة وبخاصة النجمة المحبوبة السيدة آسيا، والنجمة الرشيقة ماري كويني، والممثل الصحفي القصصي احمد جلال. وإذا كان النقاد والجمهور بصفة عامة قد شهد لفلم (بنت الباشا المدير) بأنه أحد أفلام الدرجة الأولى الثلاثة في الموسم فلا شك في أنه سوف يحكم لفلمي لوتس الجديدين بأنهما جديران بمشاهدة كل هواة السينما

أفلام فنار فلم

وتخرج شركة فنار فلم طبعة عربية جديدة لفيلمها السابق (ليلى بنت الصحراء) وطبعة فرنسية من نفس الفلم يعرضها في باريس والبلاد التي تسود فيها اللغة الفرنسية. أما باقي أعمال الشركة التي سوف تستغرق جهودها هذا العام فهو عرض الأفلام الفرنسية الكبيرة التي نالت احتكارها وإخراج أفلام لحساب الغير في استديو ناسيبيان التي استأجرته الشركة بعقد لمدة طويلة، كما أن فلم السيدة عزيزة أمير القادم سوف تقوم بإخراجه هذه الشركة التي انضمت السيدة عزيزة إلى المساهمين فيها

المسرح الخصوصي للفرقة القومية

قام حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية بزيارة لادارة الفرقة القومية ومخازنها وخطب في الممثلين والممثلات خطبة حماسية مستفيضة لفت أنظارهم فيها برقة ودعابة إلى أن من الواجب مضاعفة الجهد وبذل العناية في الموسم القادم حتى لا يقول البرلمان والنقاد في الفرقة ما قالوه عنها في الموسم الماضي. وتحدث الوزير كذلك عن رغبة الوزارة في الاسراع بانشاء مسرح خاص للفرقة تعمل عليه طوال الموسم، وأكد أن (رسومات نموذجية) عن أشهر المسارح العالمية قد أحضرها سعادة حافظ عفيفي باشا معه من أوروبا وقدمها للوزارة لدرسها واختيار الشكل اللائم لمصر، وقد شكره الممثلون على عطف معاليه عليهم وتقديره لجهودهم ووعدوه بأن يكونوا عند حسن ظنه!

فرقة الاستاذ علي الكسار

بدأت فرقة الأستاذ علي الكسار موسمها على مسرح برنتانيا برواية جديدة استعراضية تدعى (من أول وجديد) من تأليف الأستاذ احمد شكري ورواية قصيرة اسمها (الكابتن هول) من اقتباس الأستاذ علي الكسار، وقد اشترك مع الأستاذ الكسار في تمثيل هاتين الروايتين السيدة عقيلة راتب (برعادونة) الفرقة المحبوبة والأستاذ حامد مرسي مطربها المعروف، والثنائي الفني (حسين ونعمات المليجي) وسيظل الأستاذ الكسار عاملاً بهذا المسرح حتى أول رمضان.



يقوم (تيرون باور) بالدور الأول في رواية (ماري انتوانيت) أمام نورما شيرر، ويشترك في تمثيل هذا الفلم (جون باريمور) و(أنيتا لويس) ويعرض هذا الفلم في سينما رويال